حاجتنا الى تطور تربوي

تقويم جهود التعليم

بقلم نسيم نصر

* * *

ما تأملت مرة في اهتماماتنا المتوزعة على اعمالنا ومؤسساتنا التربوية الا داخلني نوع من الخوف الحريص في الا نكون موفين ناشئتنا حقها من الاهتمام، وهي تهيء مواسمها للغد مؤونة..

هذا الغد الناظر بألف عين تلتهب نهما الى فلذ اكبادنا الفضة، حاملة اغمارها الى بيادرها! هذا الغد الجائع الى استهلاك الطاقة البشرية اكثر من جوعه الى استنفاد القوى المادية والآلية. هذا الغد: اما ان نهيء ناشئتنا قادرة على تقديم ما يشبع نهمه، واما ان يشبع منها، هي بالذات!

وانه ليطيب لي ان ارى لبنان مجدا في تحقيق العدالة التربوية، القاضية بتكافؤ الفرص امام الناشئة اللبنانية لتوفير اسباب التعليم في مرحلتيه: الابتدائية والثانوية، وجعل هذه الفرص مجانية. ولكنني، وانا اقدر هذا الجد واحمد لكل ذي فضله في الحقول التربوية، اراني مضطرا الى اعلان الراي في ما يبدو جديرا بالملاحظة او موضوعا لاعادة النظر فيه من اساليبنا وانظمتنا التربوية.

وهوذا نحن، وقد ودعنا حزيران لنستقبل تشرين موعدي دورتي الامتحانات الثانوية الرسمية من كل سنة، منقسمون بالنسبة الى هذه الامتحانات الى مؤاخذ وحامد وراض وغاضب. هذه الامتحانات لا ريب في انها تجري في قانونية لا يرقى اليها شك، ولكنها قانونية قائمة على نظام اتفق على انه في حاجة الى تعديل ان لم يكن تبديل.

لا لن اتصدى، في حديثي هذا، الى المنهج الرسمي من حيث قدره ومستواه وتحصيله، فذلك موضع درس ومناقشة في حلقات جماعية تربوية، وانما انا متوجه بما علمنيه الاختبار، في نحو اربعين سنة، الى كيفية تقويمنا الجهود التعليمية وكيفية تهيؤنا الى هذا التقويم.

لقد اريد بهذه البكالوريا، عندما انشئت ان تكون شهادة ثقافة عامة تؤمن، لمن يكتفي بها، مجموعة من المقومات البشرية والمفاهيم الادبية والمقتبسات العلمية تعينه في رحاب الحياة، على تبين المسالك وكفاءة النظر في المسائل والمشاكل التي تعترض سبيله، ويعتمدها المتطلع الى التحصيل العالي وثيقة دخول الجامعة التي يختارها، واساسا للاستزادة والتخصص.

وفي طريق الوصول الى هذه الشهادة يمر الناشىء بعقبات غير منهجية، اي لا تتصل مباشرة بصميم التحصيل الدراسي، اتناول بالاشارة اكثرها خطرا، منها عبودية العلامة. وهي عبودية تتلخص في داب الطالب وفي تخيله لكسب اكبر عدد مستطاع من العلامات، علما منه بانه يكسب بذلك ثقة المدرسة ثم ثقة الممتحن، لينتهي بهذا المزدوج من الثقة الى نيل الشهادة.

واول ما يتبادر الى الذهن ان الطالب على حق في وضعه العلامة في الذروة من الاهتمامات المدرسية والامتحانية. ولم لا يكون الامر كذلك، وقد جعلت العلامة سعرا تخمينيا لمستوى التحصيل؟ ولكن الحقيقة ان تنصيب العلامة هدفا اسمى، امام الطالب، خطر خبرت اذاه وتحققت من افساده جو العمل المدرسي، في كثير من الاحيان، افسادا يتناول المعلم احيانا. فاذا صح ان تكون العلامة تقديرا صادقا او قريبا من الصدق، في مسابقات فصلية مدرسية، فانها لا تصح كذلك في ايام العمل المدرسي. فعلامة اليوم المدرسي يجب ان تتناسب وجهد الطالب التحصيلي، لا ان تكون ثمنا يوميا لمعرفته ورمزا لطاقته الواعية. وكم مرة رايتني اخطىء الارقام في تصنيف تلاميذي، بعد جهودهم في اسبوع او شهر. وكم مرة رايت ان فلانا من طلابي الذي نال ثمانين علامة، مثلا، هو، في حقيقته، اقل كفاءة وادراكا من اخر نال سبعين. واني لا اسمح لنفسي ان اتجاوز تفاوت العلامات، احيانا، عندما ادعى لابداء الراي في كفاءات طلابي المرشحين لدخول جامعة، او للقيام بوظيفة تمتد واجباتها الى خارج مكتبها، وتتفتح جوانبها على غير دفاترها وسجلاتها.

اما ما تحدثه عبودية العلامة من خطر على الطالب في اهماله متابعة التحصيل في ما احبه من الدروس والفروع، وما يعول عليه في مواجهة الغد وانصرافه الى ما يكره، سعيا وراء العلامة، وخوفا من بيادر حزيران، فهو امر يدعونا الى اعادة النظر في مراعاة الاستعدادات الشخصية، وايجاد النوعيات التحصيلية التي تلائم مواهب الطالب وتثير فيه قابلية التناول والاستزادة.

وهذا التقويم الذي الفناه لجهود التعليم والتعلم، في سائر امتحاناتنا، من خاصة وعامة، ما يزال مقتصرا على اختبارات تتناول التحصيل في المادة التي بذل الجهد لتحصيلها. وان تعدى تقويمها تناولها المباشر، كما هي الحال غالبا، فالى اختبار في مبلغ المهارة في هذه المادة ومدى الالمامة بها. لقد آن لنا، وآفاق المعارف والعلوم والفنون قد بلغت ما بلغت من السعة والانفتاحات المستكشفة الخلاقة، آن لنا الا نكتفي من امتحاناتنا بقياس التحصيل، كأنما الطالب اناء نملأه من هذه او تلك من المواد. فالاختبار الذي لا يقصد الى الكشف عن مبلغ التأثر ذاتيا بالتحصيل المدرسي، هو نوع من المسابقات التي لا تعني الا الاشارة الى درجة الطالب بين رفاقه، اما

درجة تفاوقه على ذاته، بين يومه وامسه، فقل ما تنبهنا اليها في سائر امتحاناتنا.

ولعل أقسى ما نستند اليه تقويمنا جهود طلابنا، في الامتحانات الرسمية، هو اعتمادنا حالة التلميذ في وقت معين، وتحت مؤثرات طارئة، ساعة الامتحان، لنحكم على مستواه. فمثل هذا التقويم لا صلة له بالكشف عن مقدار التغير الذي طرا عليه او مبلغ الاثر الذي تركته التربية فيه. او ليس اجدى الاختبارات اطولها واعمقها تجربة، واوسعها تناولا ؟ فكيف نهمل مراحل التلمذة كلها، ونستبعد كل راي للقيمين عليها سنين، لندعي لهنيهات الامتحان فعل المحك العجيب ؟ !

وهناك عقبة اخرى هي تقليدية الانسياق، واعني بها الاقبال على نوعية التحصيل محاكاة وتنافسا، غير متبصرين في « اين تنتهي الطريق ؟ » وما هي التضحيات التي سنتكبدها عبثا وارهاقا ؟ ؟ !

اما الطريق فقد خطها ابن الجيران او خطها ابوه له، وابني، ان لم يكن اذكى منه فهو مثله على الاقل !

هذا بعض ما يخاطب الاباء والامهات نفوسهم به، وهم ينساقون تقليدا الى زج ابنائهم في مراحل مدرسية، ومراقي تحصيلية ليسوا اهلا لها .. ! وفي هذا التقليد المسيطر على كثير من الوالدين انتحار مستقبل وتعقيم جهود. لانه ان تساوت القدود والرؤوس فالقيم المعنوية فيها غير متعادلة ! وكما تتفاوت قوى الابدان بين ابني وابن فلان في القياس والميزان، هكذا تتفاوت المواهب التحصيلية في حقول المعرفة بين ابني وابن فلان من الناس.

ومما يقف في سبيل تمهيد هذه العقبة اننا ندعي للعمل الفكري شرفا ومنزلة لا نراهما للعمل اليدوي. قد يكون الامر كذلك عند البراعة في العملين، ولكن ان نقف عند حد التحصيل الثانوي ثم نطمح الى شرف عمل فكري فنحن جد مخطئين. ففي البلاد التي رسخت فيها اساليب العلم ومذاهب الفكر لا يعيرون انتباها لغير شهادات التخصص، وما بقي دونها فهو من باب الثقافة العامة.

وقد دفعنا تهربنا من الاعمال اليدوية واعتبارنا اياها غير لائقة بحامل بريفيه او بكالوريا مثلا، دفعنا الى مهاوي الحاجة الى اليد العاملة ونزل بأدعياء الفكر من حملة الشهادات التكميلية والثانوية الى سوق الزحام في طلب الوظيفة المكتبية. وهكذا ننساق في زحمة السعي الى الوظيفة التي قسا عليها قاسم امين فسمى عشاقها والمستبلدين فيها « ذبابا يكثر ». ولماذا نسير في هذه الزحمة ونتدافع وننتظر ونتسكع عند الابواب ؟ لماذا ؟ لاننا اسأنا تقويم المعرفة، ولاننا استعلينا على شرف العمل اليدوي بحكم الانسياق وسوء التقدير. ومما يزيد في شر الحال ان اكثر ما ننعم به من الوظائف يوشك اجره المادي الا يسد جوعا، وانه ليس فيه ما يسمو الى شرف الاعمال الفكرية بصلة ما، ولا سيما ما كان من الاعمال الرتيبة الآلية التي لا تلبث ان تجمد في مزاولتها كل حيوية ذهنية ونشاط ذكائي. كالضرب على الآلة الطابعة، مثلا.

ليكن لنا امتداد نظر ويقظة ذات في ما نسلك من الطرق لمواجهة هذا الغد الناظر بالف عين تلتهب نهما الى فلذ اكبادنا حاملة اغمارها الى بيادرها. هذه الاغمار التي عليها تقوم قيم الاعمار.

نسيم نصر

عابرة

رأيتها لا اذكر
تبارك المصوِّر

•

عيونها السوابح
جوانح جوانح
تطير لا تبارح
بروحي المنكسر
رأيتها لا اذكر

•

خدودها ما الوهج
واللهب المختلج
والشفق المضرَّج
مجامر وعنبر
رأيتها لا اذكر

وثغرها المؤتلق
جمانة تحترق
ونجمة تصطفق
وبرعم منوِّر
رأيتها لا اذكر

•

وقدها المنسجم
وشعرها المللم
قيثارة ونغم
انشودة ومزهر
رأيتها لا اذكر

وديع ديب



ابراهيم العريض

المتنبي بين شراحه وناقديه

بقلم ابراهيم العريض

هذا ديوان المتنبي بين يديّ .

حقا ان صاحبنا لرب المعاني . ولكن يخيل لي كلما قلبت النظر — وراءه — في هذه الشروح الكثيرة التي تزخر بها المكتبة العربية للديوان ان الشراح هؤلاء — قديما وحديثا — جنوا على عبقريته العربية جناية لا تغتفر من حيث لا يشعرون . فقد ظل وكدهم — خلفا عن سلف — ان يبينوا للناس ماذا يحاول الشاعر ان يقول ، اي ان يكشفوا بالجهد الجهيد مادة الشعر الخامة في معانيه . ولا مشاحة ان المتنبي — كغيره من شعرائنا — يشارك في ظاهرة حمل التراث هذا عن الاسلاف ، فهو يغرف منهم بدوا وحضرا تحت راية الضاد هذه المادة الخامة ، سواء اكان ذلك من ناحية مفردات اللغة ، ام مذاهب القول ، ام تقاليد البيئة ، ام قضايا التاريخ ، ام حتى سنن التطور نفسها في كل هذه الامور . بينما الذي كان يجب على هؤلاء الشراح ان يتمحلوا له قصارى جهدهم هو ان يتبينوا لانفسهم كيف خلص هذا الشاعر ، بحكم عروبته الاصيلة من وراء هذا التراث الخام من المعاني الى الافضاء بدخيلة نفسه .. في كل شعره ، ثم مدى توفيقه في هذا الافضاء بها كاملة غير منقوصة . والى اسماع من ترى ؟ لا الى الناس كلهم وانما الى « أمة » من الناس . ففي ذلك — لا غير — سر عبقريته كلها ..

فهذا ما كان ينبغي ان يتبينه الشراح في ديوانه ، لا مجرد حل ابياته في كلام مبتذل ، ينثرونها بـه نثرا ، ويسردون مادة معانيه — في غير الفاظه — مسلوبة الروح سردا محرفا عن قصده .

اما انا فاصبحت أؤمن ان معجزة المتنبي البيانية ليست هي في « ماذا » قال ، فهذا — كما رأيت — لا يتجاوز مادة شعره الخامة ، وانما هي في « كيف » افضى بما اراد . فهذه الكيفية — او الطريقة او اسلوب البيان — هي هي « روحه » من وراء تلك المادة ، التي جعلتها تلتهب فـي الادب العربي كشواظ من نار . تأمل كيف يشير الى هـذه « الطريقة » في بعض شعره الذي مدح به ابن العميد ، ولكنه في الحق ما كان يعني الا نفسه :

انت الوحيد ، اذا ارتكبت طريقة ومن الرديـف وقد ركبت غضنفرا
قطف الرجال القول وقـت نباتـه وقطفت انت القول لما نورا (١)

فمعاني ابي الطيب هذه من حيث هي ، اي اذا جردناها من نصوصها ، عادت لا روحا ولا جسدا . فأي اهمية آنئذ تبقى لها ؟ انها بدون ذلك النظم « العجيب » (والكلمة للجاحظ) الذي لابست به على فمه الفاظها الى ابد الآبدين لا يمكن لها ان تحمل اية دلالة على نبض قلب عاش فـي كنف سيف الدولة عاشقا مدلها ، بله تحفز نفس تخب في وجه ايامها ناقمة ثائرة لا يستقر بها مكان . وانما تتأتى للمعاني — سواء أعند المتنبي او عند سواه — مثل هذه الدلالة ابدا في « منطق » الشاعر نفسه ... كلا حسب صياغته . لانها بفضل هـذا المنطق تصبـح « تعبيرا » عن هذا الاحتفال القائم في كل مكان ... احتفال الخلائق (الذين لا يكون الشاعر الا احدهم) بالحياة ، جيلا بعـد جيل ، وان هي لم تتجاوز ذلك عندهم — مثله — وتتغلغل وراءه لتمسي « تفسيرا » لاحتفال من نوع اخر ، اكبر من الاول واعم ، هو احتفال الحياة نفسها بهذه الخلائق من البشر والهوام ، على مدى الاجيال .

فهذا — فيما اعتقد — هو الذي قام عليه مدماك المتنبي الفني وصرح مجده ، لا تلك المعاني المجردة من نصوصها . فالمعاني الشعرية — كما قلت مرة — لا تأتي من الخارج ، وانما هي في النفس ، وتثيرها الالفاظ من النفس — من جديد — بحكم تداعيها . فالمهم هنا هو « الجو » الـذي

(١) واليك على سبيل المثال ما جاء في « شرح » البرقوقي (وهـو آخر الشراح) حول البيتين من تطنيب بلا طائل : الغضنفر الاسد ، والرديف الراكب خلفك ، وارتكبت طريقة يروى ركبت طريقة . يقول . انت فرد الطريقة في كل امر تحاوله لا يقدر أحد ان يحذو حذوك في طرائقك لصعوبتها وامتناعها كراكب الاسد لا يقدر أحد ان يكون رديفا له . قال الواحدي : وعلى هذا المعنى يكون الغضنفر مركوبا ويجوز ان يكون حالا للممدوح أي لا يقدر أحد ان يكون رديفا لك لانك غضنفر . يقول : ان اقوال الناس كالثمرة تقطف قبل ينعها وادراكها فهي خداج ليست بحلوة ولا غناء فيها اما انت فقولك كالنبات اذا نور — أزهر — وبلغ اناه فهو حلو معسول قد بلغ الغاية في الحسن والكمال .

يسبغه المعنى على مراد الشاعر ، لا المعنى نفسه . (٢) والحديث عن مراد الشاعر قد يطول ولا اود ان اختصر اليه من هنا الطريق . وانما الذي لا بد من تقريره هنا هو ان وراء معاني ابي الطيب التي يتلاطم بها ديوانه ن ولا تلاطم المحيط ـ شيء اكبر من هذه المعاني ، تلك هي قدرته الخلاقة على ان يفسر احتفال الحياة بنا ـ هذه الحياة التي يشترك فيها الاحياء جميعا ـ وذلك للعرب وحدهم ، وكأنه صاحب « رسالة » منهم واليهم ، تفسيره القومي الصحيح ، (٣) لا مجرد التعبير عن حياته الخاصة او حياتهم العامة تعبيرا فنيا ـ وهو الاحتفال بالمعنى الاول ـ كما يفعل الشعراء الآخرون . ولنا عود الى هذه النقطة الحساسة بعد .

فهذا ما كان من امر المتنبي مع شارحي ديوانه .

واذا كان هؤلاء الشراح ـ كما رأيت ـ قد اساؤا الى المتنبي من حيث ارادوا اليه الاحسان ، فان ناقديه ـ بقضهم وقضيضهم ـ هم الذين ظلوا يحسنون اليه ـ وراء قصدهم ـ وهم انما يريدون به السوء والمهانة . ولقد كان شأن المتنبي مع ناقديه هؤلاء من جهاب عديدة . لا جهة واحدة ، على خلاف شأنه مع شارحيه . اذ ظلت كل فئة منهم ـ على تطاول العصور ـ تؤاخذه بأشياء لعلها لم تكن كذلك في عين سواها ، او تحاكمه على اشياء طالما بدا لها عند غيرها ما يكفي من المبررات . فكانت تتعاقب هذه الفئات ـ وما اكثرهم لو ذهبت في تعدادهم منذ عصر الشاعر الى اليوم ـ ويختلف اصحابها بينهم باختلاف النوازع والاهواء والمذاهب والعصور .

اما وجه المؤاخذة عليه فقد اقتصر شأنه عند اوائلهم على ناحية اللغة .

(أ) في مفرداتها . في مثل قوله : احاد ام سداس في احاد .

وقوله :

شديد البعد من شرب الشمول ترنج الهند او طلع النخيل

وقوله :

جفخت ، وهم لا يجفخون بها ، بهم شيم على الحسب الاغر دلائل

(ب) او في ضرائر النحو في مثل قوله :

بيضاء يمنعها التكلم دلها تيها ، ويمنعها الحياء تميسا

فنصب بلا ناصب . وقوله :

حملت اليه من ثنائي حديقة سقاها الحجا سقي الرياض السحائب

ففرق بين المضاف والمضاف اليه بالمفعول . وقوله :

وتكرمت ركباتها عن مبرك تقعان فيه وليس مسكا اذفرا

فثنى الفعل لاسم جمع .

(ج) او في تعسّف الاعراب في مثل قوله :

وفاؤكما كالربع ـ اشجاه طاسمه ـ بان تسعدا ، والدمع اشفاه ساجمه

وقوله :

الطيب ، انت (اذا اصابك) طيبه والماء ، انت (اذا اغتسلت) الغاسل

وقوله :

فتبيت تسئد ، مسئدا في نيها ـ اسادها في المهمة ـ الانضاء

فقدَّم واخَّر في الكلام .

(د) او في الولع بالغريب في مثل قوله :

هذي ! برزت لنا فهجت رسيسا ثم انثنيت ، وما شفيت نسيسا

وقوله :

لساحيه على الاجداث حفش كايدي الخيل أبصرت المخالي

وقوله :

وما ارضى لمقلته بحلم اذا انتبهت ، توهمه ابتشاكا

فاستعمل كلمات غير حضرية .

وقد كفانا « الشارح » (كما سماه المتنبي) ابو الفتح ابن جني مؤونة الرد على هؤلاء ، قال :

وان كان في بعض الفاظه تعسّف عن القصد في صناعة الاعراب ، من التمسك بأهداب شاذ ، او حمل على نادر ، فعن غير جهل كان منه ولا قصور عن الوجه الاعرف به . ومن هنا تشبّث قوم لا دربة لهم بعلم العربية بأشياء من ظاهر لفظه ، اذ لم يكن لهم خبرة بدخلة امره.

قال الاستاذ عبد الوهاب عزام معقبا :

ولا ننسى ان الشاعر كان كوفيا يميل الى آراء الكوفيين . وكثير مما انكر عليه له مساغ عندهم . ومن قرا املاءه على الابيات الشاذة من شعره ، ورأى كيف يحتج لها ويسوق الشاهد بعد الشاهد ، عرف ان الرجل لم يؤت من جهل باللغة ، بل من سعة علم بها .

والحق آخرون بالمآخذ اللغوية بعض ما تنطّع فيه من الكلام .

(أ) كتكراره اللفظ في مثل قوله :

ومن جاهل بي ، وهو يجهل جهله ويجهل علمي انه بي جاهل

وقوله :

انما الناس حيث انت ، وما الناس بناس ، في موضع منك خال

وقوله :

ملولة .. لا تدوم .. ليس لها ، من ملل دائم بها ، ملل

(ب) او كاستكثاره من قول ذا في مثل قوله :

اريد من زمني ذا ان يبلغني ما ليس يبلغه من نفسه الزمن

---

(٢) راجع كتاب « جولة في الشعر العربي المعاصر » للمؤلف . ويظهر الفرق واضحا بين « معنى الشاعر » و « مراد الشاعر » في البيت :

ابا المسك! هل في الكاس فضل اناله فاني اغني منذ حين وتشرب

الذي انشده المتنبي بين يدي كافور . فلو كان هناك حقيقة كاس وغناء وشرب لكان قوله تصوير لواقع الحال . ولكن الشاعر لم يكن معنى بهذه الصور لذاتها هنا وانما اتخذها مجازا ، ليستقصي التمثيل ، تمثيل حاله مع كافور وما كان يريده منه . فقيمة البيت اذن هي في هذا الجو الودي الذي اسبغه البيت على ما غاب من مراد الشاعر ... لا في معناه .

وهذه بعض « طريقة » المتنبي جرى عليها في كل شعره ... الى مراده : «الاستقصاء الفني في التمثيل» كما سنوضح ذلك بعد في شرح طريقته .

(٣) تأمل مثلا آيته في عبرة الزمان :

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عنانا

الى آخر العشرة الابيات ، فهو انما ينظر فيها الى الموضوع من الزاوية العربية . ولعلك الان تستطيع ان « تلمح » شيئا وراء غمزات معاصريه حول « تعاظمه » وما زعموه من ادعائه « النبوة » .

وقوله :

ابا المسك! ذا الوجه الذي كنت تائقا اليه، وذا الوجه الوقت الذي كنت راجيا

وقوله :

يضاحك في ذا العيد كل حبيبه حذائي ، وابكي من احب واندب

(ج) او كتبذُّله في مثل قوله :

أغركم طول الجيوش وعرضها ؟ علي شروب للجيوش أكول

وقوله :

وان ماريتني فاركب حصانا ومثله ، تخر له صريعا

وقوله :

اني على شغفي بما في خمرها لاعف عما في سرابيلاتها

كما نظروا الى آداب السلوك فأتهموه ايضا .

(د) بقلّة الذوق في مثل قوله :

ففدا اسيرا قد بللت ثيابه بدم ، وبل ببوله الافخاذا

وقوله :

خف الله، واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت، حاضت في الخدور العواتق

وقوله :

لو استطعت ركبت الناس كلهم الى سعيد بن عبد الله ، بعرانا

(هـ) وبالجهل بآداب المخاطبة في مثل قوله :

اغار من الزجاجة وهي تجري على شفة الامير ابي الحسين

وقوله :

ومن ركب الثور بعد الجواد انكر اظلافه والغبب

وقوله :

سمعت سلاما لي ألم بها ؟ فقد طلت ، وما سلمت عن كثب

وانما مرجع كل هذا ــ لو تدبرنا امره ــ الى عنجهية فيه واثر نشأته البدوية ، التي جعلت منه ــ بين ما يتجمل به اهل الحضر من آداب السلوك ــ رجلا غريب الاطوار .. في صراحته البالغة ودقة ملاحظته .

وقامت وراء هؤلاء فئة ثالثة من حاسديه ناقشوه في اصول معانيه ، محاولين بذلك ان يمسكوا عليه انفاس كل قول . كالذي يروي من انه لما انشد بين يدي سيف الدولة ميميته :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ومن بجسمي وحالي عنده سقم

ولهذه القصيدة قصة ــ وراءها مأساة ــ ليس هنا موضع تفصيلها الان . فوصل في انشاده الى قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي فيك الخصام، وانت الخصم والحكم

قال ابو فراس : مسخت قول دعبل وادّعيته ، وهو :

ولست ارجو انتصافا منك، ما ذرفت عيني دموعا ، وانت الخصم والحكم

فقال المتنبي :

اعيذها نظرات منك صادقة ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم

فعلم ابو فراس انه يعنيه . فقال : ومن انت يا دعي كندة، حتى تأخذ اعراض الامير في مجلسه ؟

واستمر المتنبي في انشاده ولم يرد عليه الى ان قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واسمعت كلماتي من به صمم

فزاد ذلك ابا فراس غيظا . وقال : قد سرقت هذا من عمرو بن عروة بن العبد في قوله :

اوضحت من طرق الاداب ما اشتكلت دهرا ، واظهرت اغرابا وابداعا

حتى فتحت ، باعجاز خصصت به ، للعمي والصم ابصارا واسماعا

ولما وصل الى قوله :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

قال ابو فراس : وماذا ابقيت للامير ، اذا وصفت نفسك بالشجاعة والفصاحة والرياسة والسماحة ؟ تمدح نفسك بما سرقته من كلام غيرك ، وتأخذ جوائز الامير ؟ اما سرقت هذا من قول الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بابن عريان العثماني ؟

انا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى وجرد المذاكي والقنا والقواضب

فقال المتنبي :

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم

قال ابو فراس : وهذا سرقته من قول معقل العجلي :

اذا لم اميز بين نور وظلمة بعيني ، فالعينان زور وباطل

ومثله قول محمد بن احمد بن ابي مرة المكي :

اذا المرء لم يدرك بعينيه ما يرى فما الفرق بين العمي والبصراء ؟

وغضب سيف الدولة من كثرة مناقشته في هذه القصيدة وكثرة دعاويه فيها ، فضربه بالدواة التي بين يديه . فقال المتنبي في الحال :

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح ، اذا ارضاكم ، الم

فقال ابو فراس : اخذت هذا من قول بشار :

اذا رضيتم بان نجفى ، وسركم قول الوشاة، فلا شكوى ولا ضجر

ومثله قول ابن الرومي :

اذا ما الفجائع اكسبنني رضاك ، فما الدهر بالفاجع

فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قال ابو فراس ، واعجبه بيت المتنبي ورضي عنه في الحال ، وادناه اليه وقبّل راسه ...

الى آخر الرواية . ولنا حول هذه التهم من « السرقات الشعرية » التي كان يكيلها ادباء تلك العصور بعضهم لبعض جزافا .. ونكالا .. بيان يرفع اشكاله موعده في هذه الفصول غير بعيد .

ووجهت فئة رابعة كان مجالها البلاغة عنايتها الى ما اعتبرته في شعره نكوصا عن الجادة .

(ا) كتعلقه بغموض المتصوّفة في مثل قوله :

اذا ما الكاس ارعشت اليدين صحوت ، فلم تحل بيني وبيني

وقوله :

وتسعدني في غمرة بعد غمرة سبوح ، لها منها عليها شواهد

وقوله :

ولكنك الدنيا .. الي حبيبة فما عنك لي ، الا اليك ، ذهاب

(ب) وكافراطه في المبالغة حتى الاحالة في مثل قوله :

ولو قلم القيت في شق راسه من السقم ، ما غيرت من خط كاتب

وقوله :

وضاقت الارض حتى صار هاربهم اذا رأى غير شيء ، ظنه رجلا

وقوله :

لو الفلك الدوار ابغضت سعيه لعوقه شيء عن الدوران

وحتى لو ادى ذلك عنده الى التهاون بالعقيدة في مثل قوله :

ان كان مثلك كان او هو كائن فبرئت حينئذ من الاسلام

وقوله :

تتقاصر الافهام عن ادراكه مثل الذي الافلاك فيه والدنا

وقوله :

او كان لج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى

ولا نكران ان هذا المذهب في الغلو « عاهة » — نقولها بلا مبالغة — ابتلي بها الادب العربي . ولكن ليس المسئول عنه المتنبي اذ كان فيه عالة على سواه . وانما يقع اثمها على الشعراء قبله — عباسيين وامويين — ممن اتخذوا الشعر صنعة صرفا وزجّوه بضاعة للكسب في الاسواق . ففتحوا بذلك الباب للعبث بالتراث العربي اذ داب الشعراء بعدها — وصاحبنا في الطليسة — على التلاعب بالمعاني التقليدية ، وتقليبها على وجوه — مما دعوه « اخيلة شعرية » — امعانا في الصنعة . حتى آل بهم الامر اخيرا الى تقرير القاعدة المشئومة : اعذب الشعر اكذبه .

ولا يكاد يقضي المرء عجبا من هذا الصراع الذي كان ينشب في نفس المتنبي لجريه في هذا الشوط مع معاصريه الى نهايته ، وهو يعلم انه معهم من عشوته لا ينتهي به الى نافذ . فكان يتناكص عنه في الفينة بعد الفينة جريا على طبعه الاصيل بين يدي الممدوحين . مما ادّى بأهل عصره الى الانتقاص حتى مما نهج فيه من الاقوال ما توحي به الفطرة في مستهل بعض قصائده ، كمثل قوله :

لا يحزن الله الامير ، فانني لآخذ من حالاته بنصيب

وقوله :

« اوه » بديل من قولتي «واها» لمن نات ، والبديل ذكراها

وقوله :

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا وحسب المنايا ان يكن امانيا

لا لشيء الا لانه لم يلتزم هنا — في عرض بضاعته — ما يلتزمون . (٥)

ورفعت رايتها فئة خامسة هم الرواة سلطوا ضوءهم على عمود هذا الشعر المشرق فوجدوا فيه شيئا لم يألفوه فيما سبق من علمهم هو ما سموه نزوح صاحبه الى طريق الفلسفة ، مع ان عصرهم قد كان عصر علوم وفلسفة ، فرموه بالشذوذ في مثل قوله :

نحن بنو الموتى ، فما بالنا نعاف ما لا بد من شربه
تبخل ايدينا بأرواحنا على زمان هي من كسبه
فهذه الارواح من جوه وهذه الاجسام من تربه
لو فكر العاشق في منتهى حسن الذي يسبيه لم يسبه
لم ير قرن الشمس في شرقه فشكت الانفس في غربه
يموت راعي الضان في جهله ميتة جالينوس في طبه
وربما زاد على عمره وزاد في الامن على سربه
وغاية المفرط في سلمه كغاية المفرط في حربه
فلا قضى حاجته طالب فؤاده يخفق من رعبه

---

(٥) هذا العرض للبضاعة المصنوعة — واهل العلم حتى القدامى منهم كانوا يفرقون لهذا بين « المطبوع » و « المصنوع » منها — هو الذي جعل عندهم لبيعها قواعد سلوك التزموها ، من براعة الاستهلال ، وحسن التخلص ، وبيت القصيد ، والمسك في الختام . وكلها — لو تأملت — من ملتزمات الصنعة التي اصطلحوا على وضعها بينهم . فأخذها عنهم المتخلفون كقضية مسلمة .

وهذا ايضا من ذلك ، فهو ينظر في البيت الاخير نظرته العربية .

فماذا يقال لهؤلاء ؟ ألا يكفي صاحبنا فخرا انه اول من شق لنا في الشعر هذا الطريق .. وقد الفناه بعده ؟ انه يقف فيه — وحده — على رأس مدرسة كان من تلامذته فيها ابو العلاء .

ونجمت اخيرا نابتة — هي بين ظهرانينا اليوم — تتلمذت للغرب ، شاءت ان تتجاهل امر كل هذا التطور الزمني الذي شرّق المتنبي فيه وغرّب ، فلم تجد ما تنعى عليه في كل ذلك الا التزلف والصغار . ألانه عرض بضاعته في زمانه كما يعرض الناس ؟ وماذا كان يسعه في عصر كعصره غير ذلك ؟ ثم كيف نقدّر لعبقري مثله الخروج على ما كان — الى امس القريب — يعتبر في محافلنا الادبية التزاما على الشاعر لطبيعة فنه ؟ ومع هذا فهو قد كان اول الخارجين — كما راينا — على نوع هذا الالتزام ، اذ لم يقف بتراث هذا الشعر (الذي لولاه لضل — وها هو فعلا قد ضل — في هذه المتاهات سبيله) هاديا على مفترق الطرق سواه .

ويا ليت هؤلاء تلبّسوا روح ذلك العصر لتقييم اثر نوابغه . اذن لبان لهم في هذا المذهب الشعري من تقصيد القصائد في باب المديح الذي جرى عليه شعراؤنا ابان مجدهم ميدانا واسعا للتنافس بينهم . شأنهم في ذلك شأن ميخائيل انجلو ورفائيل من فناني اوربا في العصور الوسطى ، اذ كانوا — مثلهم — يتعلّقون بالقصور في عرض روائع آثارهم الفنية . تلك امة خلت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت . فلو حاولوا تفهم ذلك على الوجه الذي اراده

ذووه اذن لراوا شاعرنا « يجل عن الملام » .

لكن الجاهلية — جاهلية العصر — أبت الا فتح الباب على مصراعيه ليمرق منه كبار قريش الى اتهامه بكل شاردة وواردة . فهذا يتهمه بالقرمطية لقوله في بني قومه :

بكل منصلت ما زال منتظري حتى ادلت له من دولة الخدم
شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة ويستحل دم الحجاج في الحرم

وهذا يتهمه بالشيوعية لقوله في فارسي :

ابا شجاع ، بفارس ، عضد الدولة ، فناخسرو ، شهنشاها
اساميا لم تزده معرفة وانما لذة ذكرناها

وهذا اخيرا يسمه بجنون العظمة لقوله في نفسه :

أي محل ارتقي أي عظيم اتقي
وكل ما قد خلق الله وما لم يخلق
محتقر في همتي كشعرة في مفرقي

والمتنبي باق موقفه من اكبر هؤلاء ابدا كموقفه من اصغر اولئك ، مصداقا لقوله :

لساني بنطقي صامت عنه عادل وقلبي بصمتي ضاحك منه هازا
واتعب من ناداك من لاتجيبه واغيظ من عاداك من لا تشاكل

ومع هذا فقد بقيت للاولين منهم والاخرين فضيلة يشكرون عليها ، اذ ظلوا يسدون للغة الضاد في ابنها البكر يدا بيضاء من حيث لا يعلمون . فان تظافرهم جميعا من كل حدب وصوب وفي مختلف العصور والازمنة على نبش الترب في منجم ديوانه ، واثارة الغبرة حوله ، ترك معدنه الوهاج عاريا للعيان .

وهذا ما كان من امر المتنبي مع ناقدي الديوان .

قال الاستاذ العقاد وهو من الذين خلعوا على الشاعر برد شبابهم ، في حديث له منذ ايام :

المتنبي يمثل العبقرية العربية من الناحية العملية .

لقد عاش المتنبي قبل الف عام (٩١٥—٩٦٥) متنقلا في هذه البقعة المباركة من الارض بين لبنانها واردنها وفلسطينها وعراقها ، من بادية الشام جنوبا الى الاناضول شمالا ، ومن القاهرة غربا الى شيراز شرقا . ولم تكن الحضارة في عصره تتمتع بمعجزة العلم في بعض ما نراه من هذه الوسائل الآلية الميسورة للناس اليوم في كل صقع ومكان . فكان حاله في تنقله كما وصف نفسه قبيل مفادرته مصر :

واني لنجم تهتدي صحبتي به اذا حال من دون النجوم سحاب
غني عن الاوطان ، لا يستخفني الى بلد سافرت عنه ، إياب
وعن ذملان العيس ، ان سامحت به ، والا ففي اكوارهن عقاب
وأصدى ، فلا أبدي الماء حاجة وللشمس فوق اليعملات لعاب
وللسر مني موضع لا يناله نديم ، ولا يفضي اليه شراب
وللخلود مني ساعة ، ثم بيننا فلاة ، الى غير اللقاء تجاب

يكشف صفحته للشمس ويقطع مفاوزها وحيدا من الخلان .

ولقد رأى المتنبي في هذه البقعة المباركة وجوها من الفتن حيث سار ، في الدويلات المتمزقة ، انكرها قلبه ولسانه ، ربما لا تختلف حالها عن الحال التي نراها قائمة لهذه الفتن فيها فننكرها مثله في ضمائرنا . ولم يكتب له ان يرى كل النعم التي انعم الله بها على البلاد رؤية عصرنا لها ، وان ادرك بجوارحه طاقات ابنائها العرب ، ولعل اعداءنا يلمثون بها خيرا منا . ولو شئت تعداد هذه النعم اليوم ، لما تعديت ما قلته امس في الدورة الرابعة لمؤتمر الادباء العرب بالكويت عام ١٩٥٨ :

فنحن لا غيرنا نشرف من هذه البقعة المباركة مما يسمونه الشرق الاوسط على ممر تاريخي بين الشرق والغرب ولا كالممرات ، كان بالامس جسرا بين حضارتين قديمتين قبل بزوغ الاسلام بينهما ، وهو اليوم ان شئنا او ابينا حلقة اتصال بين حضارتين كذلك ، هما الحضارة التي يتعلق الشرق بأدق معانيها ، والحضارة التي يكدح لها الغرب في اوسع مجاليها ، حلقة لم تزدها هذه الطائرات التي تعمل في سماواتنا كل ساعة من ليل او نهار الا شدا من اطرافها واحكاما. فهذه واحدة من النعم وما اجلها من نعمة

ونحن لا غيرنا نجثم من هذه البقعة المباركة فوق موارد غنية ، بات لا غنى للعالم عنها في مجال صناعاته واسلحته ، جعلها الله تحت اقدامنا . فما علينا الا ان نخلص لانفسنا لنجني منها كل ما نبتغي من الثمرات لصالحنا وصالح سوانا معا . فهذه ثانية من النعم وما اعظمها من نعمة . . .

ونحن لا غيرنا نطل من هذه البقعة المباركة بين المذاهب المتضاربة المتنافرة على الطريق السوي . فلا يجوز لنا ان نغرق في روحانية الشرق التي تتنكر لواجبات الحياة وان اعترفت بقيمها ، ولا يجوز لنا ان نغطس في مادية الغرب التي تتنكر لقيم الحياة وان عرفت واجبها . وانما يحسن بنا بحكم وضعنا الخاص ، ان نجمع بين قيم الحياة وواجباتها قدوة مثلى للآخرين . فتلك ثالثة من النعم وما اظهرها واكبرها معا . . .

ان العرب لجديدون بهذه النعم وان خير سبيل للاستزادة منها هو ان ينعموا عينا بوحدتهم في العروبة التي تفرضها عليهم ارضهم ولغتهم وتاريخهم ، وان يسعوا الى تحقيق ما انيط بهم من الرسالة ، رسالة الاعتدال التي يستحيل على سواهم فهمها والاضطلاع بها في عالم انشطر على نفسه .

* * *

ما كان للمتنبي ان يدرك لبعد زمانه كل هذه النعم ، ولكنه كان يؤمن مثلنا بالوحدة في العروبة وهي سياجها المتين ، وظل يحلم بها العرب طيلة حياته . ومن منا لا يؤمن شرواه بوحدة العرب في الرسالة التي بلغوها في فجر تاريخهم اذ كانوا على اعتاب الجاهلية . . . جاهليتهم . . ؟ وانهم لمكلفون بادائها . . . الى اليوم . . . وهم على اعتاب جاهلية جديدة . . . جاهلية سواهم .

هذا ما عاش له المتنبي قبل الف عام ومات قتيلا ، تاركا لنا مخططات تلك « الرسالة » في هذا الديوان .

البحرين **ابراهيم العريض**



ماذا جرى !

***

ماذا بها يغنيك عني ... والود والاخلاص فني
ماضيك ينبع من هواي ... فأينا سر التجني
أنسيت امسك ان نسيت ... فلست أنسى وهو مني
أنسيت ماضينا الجميل ... وكم سعدنا بالتغني
أنسيت ليلات سهر ... ناها مع الناي الاغن

. . . . . .

ماذا جرى

. . . . . .

أكلامها المعسول انساك ... المحبة والحبيبه ؟
وفرحت كالطفل المدلل ... يؤثر اللعب القشيبه
وضللت في وادي السر ... اب وفي مسالكه الغريبه
ونسيت أنك كنت لي ... تشكو وكنت انا الطبيبه
انسيت كم ناديتني ... أهلا بشاعرتي الاديبه

. . . . . .

ماذا جرى

. . . . . .

فاذا التقينا وانتهى ... عهد التجافي والخصام
وتقول لي هيا ابدئي ... بالعتب ان شئت الملام
سأقول أهلا بالذي ... يجفو ويرجع للوئام
انا منك واثقة وها ... قد عدت يدفعك الهيام
لا بد ان تصفو سما ... ء الحب من بعد الغمام

مصر الجديدة ... روحية القليني





بقلم علي بدور

عصر كل يوم يطيب لي الجلوس في مقهى الحمراء اتأمل المارة واتفحص وجوههم وانا اقرأ في كتاب او اتصفح جريدة ريثما تحين ساعة الذهاب الى المنزل .

كان يجلس الى جانبي رجل معروف مع صحبة من اصدقائه يتحدثون او يقرأون وكثيرا ما كانوا يتلهون بالنظر الى الناس وتأملهم من خلف الواح الزجاج الشفافة .

لا ادري ماذا يعتريني وانا انظر الى هذا الرجل . ان شعورا بالالم يغمرني لانني اعرف عنه اشياء لا يعرفها هو .. انه مطمئن ولكنني انا الذي اتعذب عنه ، ذلك العذاب الذي لا يشعر هو به . انني اعرف سرا من اسرار حياته .. بل من حياته الخاصة جدا .. أأقول انني اعرف سر زوجته أم اتمهل قليلا ؟ قد اشعر بعض الوقت بالغبطة التي تغمر الانسان عندما يعرف اشياء لا يعرفها الاخرون .. وبخاصة اذا كان هؤلاء قد تمثلوا في واحد معين من الناس . ولكنني بعد ان استنفد غبطتي واستهلكها ، احس احساسا مؤلما بالتعاسة .. واتصور ان هذه المرأة هي زوجتي .. هي ام اولادي ... وانا الان زوجها الذي لا يعلم عنها شيئا ، وعن تصرفاتها الخاصة كذلك ، وتزداد تعاسة نفسي عندما احدق في وجوه الجالسين حولي فلا ارى الا عيونا تتطلع مرة الي ، ومرة الى غيري ، فأخاف ان يكون بينها عينان تحدقان بي ، وهما تعرفان سرا من اسرار حياتي الخاصة .. وقد يضحك صاحب هاتين العينين مني وقد لا يضحك .. ولكنه في النهاية سيشعر بالانتصار علي لانه يعرف عني اكثر مما اعرف انا بالذات !

ولكن هذه الافكار كلها لا محل لها في دنيا الواقع .. لانني لم اتزوج بعد ان توفيت زوجتي ولم تمكث عندي اكثر من عام .. وتزوجتها وانا اعرف انها تحبني وهي تعرف انني احبها . ومن غير المعقول ان ينفد حب عنيف في عام واحد ، ولذلك فأنا مطمئن لانها لم تستطع ان تخونني فيما لو ارادت ذلك رغم انني لم اشك فيها مطلقا .. وكذلك فأنا مستريح الان .. على كل ان القضية اليوم لا تخصني بل تخص ذلك الرجل الجالس امامي الان مع اصدقائه ..

فهو لا يزال غير عارف بما تصنعه زوجته في الخفاء .. ولكن ذلك لا يمنعني ايضا من التفكير في مأساة حياته التي بدأت اعيشها انا عنه .

هدأت بعض الشيء .. اخذت افكر في الموضوع تفكيرا واقعيا .. ان المشكلة في ذاتها لا تخصني كما قلت ، لانها مشكلة امرأة تحب احد اصدقائي .. وزوجها جالس امامي الان . هذه هي القضية . انها بسيطة . تحدث كل يوم .. وفي كل مكان . اذ هناك نساء لا يستطعن الاخلاص لازواجهن اذا اردن الاخلاص لانفسهن . وكذلك هناك رجال لا يستطيعون الاخلاص لزوجاتهم اذا ارادوا الاخلاص لانفسهم .. وهذا الرجل الذي يجلس امامي الان .. له زوجة من ذلك الطراز .. قد يكون هو قادرا على الاخلاص لنفسه ولزوجته .. ولكن زوجته لم تستطع ان تخلص له ما دامت تريد الاخلاص لنفسها .. اأقول انها امرأة مريضة الخلق .. أم مريضة النفس ؟ لست ادري ماذا اقول عنها .. أنني لا استطيع ان اقول عنها شيئا ، فأنا لا اعرفها ، ولم احدثها في حياتي مرة واحدة .. كل ما في الامر انني شاهدتها ذات يوم مع زوجها في السينما . اذن كيف احكم لها او عليها دون ان اعرف ظروفها . انني لا اريد ان ابرر سلوكها الان ، او ان اظلمها بحكمي فهذه ناحية ليس لي علاقة بها . قد تكون معذورة وقد لا تكون ، ولكنها في الواقع تعرف رجلا غير زوجها وتحبه اكثر مما تحب زوجها . وزوجها لا يدري عن ذلك شيئا .

اخذت اتأمل وجه الزوج من جديد . لقد حيرني الهدوء الذي كان ينطبع عليه . وفكرت ، لعله غادر منزله منذ ساعة وترك زوجته في البيت ترجوه أن لا يتأخر كثيرا . كما ترك اولاده يلعبون في ابهاء المنزل بمرح وسعادة ، ولعلها قد منحته قبلة على الباب . ولكنها بعد ان اطمأنت الى خروجه هرعت الى الهاتف تدير ارقامه على رقم صديقي . ان صديقي ينتظر منها الحديث مساء كل يوم ولمدة طويلة . بعض الايام قد لا تحدثه ولكنها تطل عليه من النافذة فيراها من بعيد وهو في منزله فيعلم انها لا تستطيع اليوم ان تتحدث اليه لان زوجها لم يغادر المنزل خلاف عادته مساء كل يوم !

ان صديقي انسان حساس وذكي .. بالغ الدهاء . لقد عرف كيف يوقعها في شباكه ، فلما اطمأن اليها احس معها بالحب وبالراحة العميقة التي يخلفها الحب في النفس . ولعلها قد وجدت فيه ما كانت تحلم به في حياتها الزوجية .. ولعلها قد لمست الفرق بين زوجها وعشيقها فتمسكت بصديقي تمسكا لا ادري اذا كان سوف يستطيع الانفكاك منه ذات يوم . ومن عادة صديقي التي درج عليها مع صديقته ان يظل مشغولا بزوجة هذا الرجل الجالس امامي الان الى ان يغادر الزوج مكانه الى

المنزل ، عندما قد ينتهي صديقي من زيارته او حديثه ، لان حديثه الهاتفي لا ينقطع الا عندما يضع الرجل مفتاحه في ثقب باب منزله .. واما الزيارة فتبدأ عادة ، بعد خروج الزوج من المنزل مباشرة ، وتطول ساعة او اكثر قليلا .. وعندما اشاهد صديقي مقبلا علي اعرف بالبداهة انه كان عندها وجاء ليؤكد للزوج ذلك دون ان يدرك الزوج شيئا من ذلك كله لانه بعد ان يمضي ساعتيه المسائيتين في المقهى يحاول الاستعداد للقيام والذهاب الى منزله .

عندما يجلس صديقي بقربي يأخذ بالحديث معي عن حبيبته .. ماذا قالت له ! وماذا قال لها ! وكيف عاملها ! وكيف عاملته ! وقد لا ينسى الكثير من التفاصيل الدقيقة الخاصة!

انني في الواقع لا اريد ان اسمع مثل هذه الدقائق الناعمة ولكن صديقي يتحدث دون ان اسأله قد لا يروق بعض السيدات ذلك، وبخاصة عشيقة صديقي ، ولكن صديقي لا يجد في ذلك اية غضاضة لانه يعتقد انني انسان لا افشي سرا لأحد . وهذا صحيح لانني لم اعتد ان افشي سرا لاحد في حياتي ! !

واشرد كثيرا بعد سماع الصفحات الجديدة من ملحمة الحب التي يؤلفها صديقي مع زوجة ذلك الرجل الذي لا يزال جالسا .. ولعل صديقي الان عند زوجته .. قد احزر ماذا يفعل معها الان اذا استعنت بأحاديثه السابقة ، ولكنني لا اريد ان استبق الحوادث .. اذ كل ما في الامر انه سوف يحضر بعد قليل .. ويحدثني عن كل شيء. قلت انني اشرد كثيرا وهذا يحدث حقيقة . لانني بعد ان استمع الى صديقي وهو يتحدث عن زوجة هذا الانسان .. ينتابني شعور بالحزن من اجل ذلك الزوج الذي لا يعلم شيئا .. انه ليس آخر من يعلم .. اذ يبدو لي انه لن يعلم ابدا .. فهناك ازواج صابرون قد يأتي دورهم متأخرا كي يعلموا. ولكن ظني يحدثني بأن هذا الزوج لن يكون له دور كي يعلم شيئا ! !

وبينما كنت مهموما بافكاري عن هذا الانسان وانا احس احساسا بالغا بالتعاسة وخيبة الامل وجدته يتململ في مقعده . حسبت انه قد اخذ يفكر في زوجته ، ولعله قد ظن بعض الظنون فلم يطق صبرا .. فاراد ان يقوم .. ولكنه لا يزال جالسا لعله لم يعد يشعر نحوها بالحب . اقول هذا مفترضا انه تزوجها عن حب . ان الحب وحده يكشف خيانة احد الزوجين للآخر..

ان الزوج المحب ينظر الى زوجته بشمول فاحص يفسر كل حركة من حركاتها .. وكذلك تفعل الزوجة المحبة بحبها . فهو كالمنظار السحري الذي نكتشف به الاشياء الغريبة ليس في اجسام من نحبهم .. ولكن في نفوسهم ايضا . فاذا جمد الحب او تبخر من منزل الحياة الزوجية فقد بات صعبا على المرأة والرجل معا ان يكتشفا خيانة احدهما للآخر . وهذا الرجل الذي يجلس امامي الان انسان لا يحب زوجته . لانه لو كان يحبها لاختصر دوامه الدقيق على المقهى وجلس معها في المنزل ، لذهبا في نزهة ، لقرأا كتابا او استقبلا ضيوفا .. او صنعا اي شيء دون ان يفترق احدهما عن الاخر .. هكذا كنت اصنع مع زوجتي قبل ان تموت .. صحيح ان العام الاول يظل العام الاول بالنسبة للزوجين العاشقين ، ولكن ماذا يمنع القلب اذا احب ان يظل يعيش في العام الاول دائما . لا شيء يمنعه عن ذلك في اعتقادي سوى فراغ القلب من الحب واستمرار الجسد وحده في الحياة.

قام الزوج عن كرسيه .. دفع بعض المال لعامل المقهى ، وغادر المكان متمهلا ! انه ليس مستعجلا .. ولكن لماذا يستعجل .. لعله يظن ان هناك امرأة قد ودعته على الباب بقبلة ـ وهذا من عادتها كما اخبرني صديقي ـ فتركها ظامئة الى ان يعود .. وهناك جنة تفتقر الى حنانه وحبه سوف يجعلها تنبض بالسعادة والفرح .. ولعله الان ينعم براحة النفس وطمأنينة الفكر لان زوجته الان تحاول ان تذهب بالاطفال الى مخادعهم لتستطيع ان تتفرغ له ! !

وضاع الزوج في الزحام .. ولكن قصة حياته ـ تلك المأساة التي اخذت اعيشها نيابة عنه ـ لا تزال ماثلة في ذهني .. انها مضيئة ليل نهار ، معلنة عن نفسها تنتظر من يطلع عليها ليعرف عن صاحبها اكثر مما يعرف صاحبها نفسه . وتساءلت في سري وانا افكر في هذه القضية وقلت : «لعل الذنب ذنبه .. ان المرأة مخلوق حساس يحس بالوحشة اذا ترك مدة طويلة من الزمن بلا حب . قد يقاوم ولكنه في النهاية سوف يستسلم لاول طارق والمرأة ـ كما عرفت من زوجتي المتوفاة ـ مخلوق لا يطيق فراغ القلب من الحب والخضوع لنظام الحياة اليومية المتكرر . وهي اذا احست بالفراغ والوحشة وملت نظام حياتها اليومي ، تصرفت تصرفا بريئا لا تقصد منه الا انها بحاجة لمن يشعرها انها تعيش .. وقد تجد ذلك الانسان في زوجها اذا حاول ان يفهم .. وقد تجده في غير زوجها اذا استمر في عدم الفهم ! ! »

وفجأة قطع علي حبل التفكير قدوم صديقي . فقد لاح لي وجهه وهو يقبل علي بابتسامة الواثق .. وعزم المنتصر .. وجلس الى جانبي .. تطلعت اليه فعرفت انه كان يتحدث واياها بالهاتف اذ عندما وضع الزوج مفتاحه في ثقب الباب اغلقت الزوجة الهاتف .. وقام الصديق يسعى الي . انه الان او بعد ان يأخذ بشرب فنجان قهوته سوف يحدثني عن حبيبته . ماذا قال لها ! وماذا قالت له ! كيف عاملها ! وكيف عاملته .. ولو بالهاتف ! ! قد لا ينسى الاشياء الناعمة التي وقعت له معها .. تلك الاشياء التي تذكرني بما كنت افعله مع زوجتي الحبيبة خلال ذلك العام

الاول والاخير من زواجنا ..

وجدت نفسي رغم ذلك كله غير قادر على سؤاله .. ولم اشجعه على الحديث . فقد بدوت مهموما كأن الزوجة زوجتي والصديق عاشق مجهول لدي قد وجدته اخيرا .. ولكن صديقي لم يتركني اسير افكاري المتعبة بل حاول اخراجي من بحيرة الصمت قائلا لي :

ـ ما بك اليوم يا امين انني اجدك مهموما يا صديقي ؟

لبثت صامتا برهة .. ولكنني اجبته :

ـ اسمع يا عزيزي .. ان قصتك تؤلمني .. انني وانت مع حبيبتك اشاهد وجه الزوج فأتعذب عنه لانه لا يعلم .. ولا ادري اذا كان سوف يعلم شيئا ذات يوم ؟

وحدق الصديق في وجهي لاول مرة بعينين كلهما دهشة واستغراب وقال :

ـ انت لا تتعذب من اجله .. بقدر ما تتعذب من اجل نفسك .

لعلك تخشى ان تكون زوجتك المتوفاة غير مخلصة لك كما كنت تعتقد .

فاذا لم تنصرف افكارك الى الماضي فانها حتما متوجهة عبر المستقبل ، انك تحس بحاجتك الى زوجة ولكنك لا تستطيع ان تضمن اخلاصها لك ، وتخشى نفس مصير الزوج الذي يجالسك في المقهى وكأنه قطعة من اثاثها قد فقد زوجته كما فقدتها انت منذ عدة سنوات !

كان صديقي يتكلم .. وانا انصت اليه .. انه يريد ان يحول افكاري نحو وجهة جديدة لاعتقاده الخاص ان الرجل عندما يفكر في المراة فانما يفكر بها لنفسه فحسب . ولكن صديقي وهو في اوج تعلقه بزوجة ذلك الرجل الذي قام يسعى الى منزله منذ قليل لم يستطع ان يلمس خيوط المي الانساني الرقيق لحال انسان لا يعرف شيئا عن زوجته في الوقت الذي اعرف انا عنه اكثر مما يعرف هو بالذات .. ولذلك ضاعت عن بصيرة صديقي مأساتي كرجل ارمل احب زوجته لانه عرف ماذا تريد كامرأة .. ولكنه الان يتألم لان امرأة ما ، تعشق غير زوجها بسبب حاجتها للحب .. وزوجها لا يشعر بحاجتها .. ولا يعلم انها وجدت ضالتها في انسان آخر !

حاولت أن افسر ذلك لصديقي ولكنني اكتفيت بالصمت لانه لن يفهم حقيقة مشاعري بسبب بسيط هو انه لم يشعر ذات يوم انه زوج .. وانه مسؤول عن زوجته ، ولم يقلق من اجل تلك الانسانة التي في منزله ـ وبخاصة اذا كانت امرأة ذات احساس مرهف كما كانت زوجتي ـ لعلها تريد شيئا ولا تفصح عنه .. لعلها تستحق اكثر مما يقدمه لها من عاطفة واخلاص . وقد لا يعتقد صديقي بأن الرجل الذي يجهد نفسه فوق طاقته لاشعار امرأته بالسعادة والحب والحياة الجميلة ، انما هو الذي يربح اكثر في النهاية اكثر من زوجته بالطبع .. قد لا يربح شيئا ذا قيمة مادية ، ولكنه سيربح حتما اشياء معنوية كثيرة ابسطها ان لا يكون هناك انسان اخر يحادث زوجته بالهاتف او يزورها في المنزل ، في الوقت الذي يقضي فيه جلسته المسائية مع اصدقائه في المقهى !

ولكنني لم أشأ أن أترك صديقي معتقدا بصحة افكاره وحده .. فقد التفت اليه وحدثته بما اعتقد وكأنني اطوي الصفحة الاخيرة من كتاب المي الانساني بقولي له :

ـ قد لا استطيع ان اعبر لك عن افكاري بالاسلوب الذي يجعل لك الامور واضحة تماما .. ولكنك انت ايضا قد لا تستطيع فهم كل ما اعنيه من حديثي عن مأساتي بسبب بسيط يا صديقي هو انك لم تتزوج بعد .. ولم يصبح لك زوجة عليك ان تشعرها بحبك وان تحميها في نفس الوقت . كما هو شأن الازواج العاقلين في هذا العالم ..

وانتظرت من صديقي ان يرد علي .. ولكنني وجدته لا يريد الكلام لانه استغرق في تفكير عميق .. فحولت بصري عنه الى الكرسي الذي تركه الزوج من دقائق .. وغمرني شعور رقيق بالفرح ، وتصورت ان الزوج الان في منزله يطل على اطفاله وهم نيام في المخادع ، ويحاول ان يشعر زوجته انه الى جانبها .. وتطلعت الى السماء التي كانت نجومها تلمع بالضوء كعيون سعيدة وتمنيت من اعماق قلبي ان يظل كرسي الزوج فارغا ولمدة طويلة .. وانحدرت من عيني دمعة وحيدة لم يشاهدها صديقي لحسن الحظ .. لقد كان وجه زوجتي يبتسم لي في صفحة السماء ، فذكرني بأنني لا ازال احبها ولا ازال اعيش مع روحها اسعد ايام حياتي رغم الالام التي يسببها لي الاخرون !

وغمرني شعور بالراحة لان صديقي اخذ يفكر لاول مرة بعد تلك المدة التي قضاها في صحبة صديقته .. وكان النظر الى الكرسي الفارغ ووجه زوجتي في صفحة السماء يزيد من شعوري بالراحة ويخفف عني من وقع المأساة بالقدر الذي تزداد فيه الراحة نفوذا الى اغوار القلب !

حلب — علي بدور

ريفيات حزينة

النشيد الاول

•

فارس بلا جواد

توددي اليه امسكيه في الفؤاد
تراك تعرفينه الفارس الذي بلا جواد
وبائع الالحان والانشاد
طريقه ظلال حائطين من قتاد
ملامح صغيرة على ضفاف نهرك المليء بالسهاد
تزغرد الحقول ان تبسمت شفاهه
ويهرب الجراد
العازف النحيل حقله بلا حصاد
وجرحه يلوح فوق صفحة الغدير عاريا بلا ضماد
ويعشق الغناء . جاء يطلب الوداد
كفاه حائطان تمنعان اعين الحساد
عيناه تمطران حزنه تاريخه رماد
ما زلت تذكرين وهو ينقل الاقدام في اتئاد
ويقسم الايمان ان يعيش عاشقا
تهتز في مزماره السهول والنجاد
عيناه غنوتان في الاعياد
يقدم الفؤاد للصحاب زاد
تراك تنظرين للمرآة في اعتداد
وتحلمين ان يجيء فارس
جواده الرياح يملك البلاد والعباد
تراك ترفضينه
الفارس الذي بلا جواد

النشيد الثاني

•

حــلم

رايتها تميل فوق صفحة النهر
رأيت هذه العجوز قريتي تكومت على حجر
تطالع الغضون في المياه حملقت بلا عيون
تمزقت من الضجر
وصاحت الرياح حولها عقيم
وفي المياه لم تكن ملامح هناك في المياه
ولم يكن هناك غير كومة الهشيم
الشيب طائر عقيم
وفجاة يبتل شعرها
وعاده السواد
واخضرت العروق في الجماد
احشاؤها زلازل تفجرت مياه
وزغرد المطر
سفينة على مشارف النهر
وعاد زوجها من السفر
وماج سفحها بأوجه الصغار
وزار قريتي غلام ابيض
يقال انه النهار
ونام نرجس الشواطىء الخضراء في ابتسام
لكنما السراب راح يقرع الابواب
وضاعت العيون
تحسست غضونها تعود من جديد
وكفنت صغارها المياه
ومات زوجها واصبح القمر
زجاجة سوداء من رماد
وقالت الرياح للعجوز كان حلم
وتحت صفحة النهر
ترعرعت وازهرت هناك جثة الالم
وكومة من الهشيم
والريح في غضونها تصيح كان حلم
ما زلت يا جديبة المنى عقيم

القاهرة — **محمد ابراهيم ابو سنه**



سعد صائب

ايف بونفوا ... الشاعر المتمرد

بقلم سعد صائب

* * *

هل واكبت « ثورة الشعر » على المعاني والخصائص والمذاهب والقيم «الثورة الفلسفية» التي اعلنها «ديكارت» على الوجود واللاهوت ، بحيث أثرت التأثير العميق الذي احدثته مثيلتها ؟ هذا السؤال طرحته على نفسي وانا اهم بالكتابة عن الشاعر الفرنسي المعاصر « ايف بونفوا » وحولي العديد من المراجع ، وجلها ان لم اقل كلها ، تؤكد وجود هذه الثورة ممثلة اصدق تمثيل في شاعرين معاصرين .. ايف بونفوا من نحو ، وصنوه الشاعر الانكليزي «ت.س. اليوت» من نحو اخر ، اللذان استقطبا في نتاجيهما الزاخرين العميقين ، الثورة الشعرية ، في ارق معانيها واجلى مظاهرها .. ولئن لم يستطع الشعراء من قبلهما — باستثناء الشاعرين رامبو ومالارميه — تمثل الخصائص التي تميزت بها عصورهم ، او يشعروا بالمسؤولية حيال « قضية الانسان » بحيث تسمو الى المستوى الذي يوسع نطاق التعبير عنها ، ولم يعبروا تعبيرا صادقا يسكبون فيه طاقاتهم المبدعة كما سكبها الفلاسفة المعاصرون وفي طليعتهم « ديكارت » بل ظلوا ابدا في حيرة ، يلجؤون حينا الى تجسيد السوداوية الرومانتيكية واعطاء الكلمة قيمتها الموسيقية فحسب ، مدعمة بفضيلتهم الذاتية ، وانفعالاتهم وذوب نفوسهم .. او يلجؤون حينا اخر الى التجريد بحسبانه تجديدا في الشعر يلائم العصر الذي يعيشون فيه ، او الى التطرف في الغموض بتحميل الكلمة فوق ما تحتمله ، فمن « هيغو » و « لا مارتين » و « بيرون » و « اوسكار وايلد » الى « بودلير » الذي حلم بالجمال الاسمى عن طريق الابداعية العاطفية ، الى « تيوفيل غوتيه » و « دوبانفيل » اللذين ناديا بالابداعية التجسيمية التي انابت المثل الاعلى للسحر والاتقان الصوري مناب الحياة العميقة . الى « فرلين » الذي لم يكن له ميل الى النظريات بل كان يكتفي بالقول : « العنف — يا ابنائي — هو المرء ذاته اطلاقا » وكل ما استطاع ان يفعله اجادته التعبير عن احاسيس غامضة ، واهتزازات مبهمة واحلام متموجة ..

كل هؤلاء الشعراء وغيرهم كثر لم يستطيعوا مجابهة عصورهم ، بل انكمشوا على ذواتهم ، ومضوا يصورون ما فيها من حيرة واضطراب وقلق ، وما تعج به من ميل الى اللذات ، وتوق الى السعادة الهادئة الهانئة ، ولم يشذ عن هذا الركب الا « رامبو » و « مالارميه » . اما «رامبو» فكان ظاهرة فذة في الادب الفرنسي كله ، تكشف في شعره عن وجه ثوري عنيف في ثوريته ، جريء ، صب جام غضبه على بيئته ، وثار على اهله ، وشدد النكير على مجتمعه ، وجدف في دينه ومعتقده وكان في كل هذا يتشوف ابدا الى الحرية ، ويتطلع دوما الى الانطلاق من كل قيد او اسر ، والى تفتح الذات .. ويجيء « مالارميه » على غموض شعره وابهامه معلنا مذهبه الشعري هاتفا : « انني ابتدع لغة منها ينبثق شعر جديد ، شعر لا يدور على وصف شيء ، بل على تأثيره . لا يتكوّن البيت الشعري من الفاظ ذات معنى ، بل من الفاظ ذات نوايا ، بحيث تغيب قيم الالفاظ المعنوية امام شعورنا . ولقد كان لهذا الهتاف المدوي تأثيره العميق في ادباء الشباب ، اولئك الذين كانوا يهرعون فرحين لحضور ايام « الثلاثاء » المشهورة التي كانت تعقد في شارع «روما» بباريس(١) ..

ثم يقف الشعر عن انطلاقته وثوريته ، هربا من عبء المصير ، فلا يزداد غنى ، ولا ينتصب كيانا ينفتح ويفيض فيكوّن نظرة صحيحة الى « انسانية الانسان » او يردد صرخة الآلهة في معبد « دلفي » : اعرف نفسك ... وهنا ... هنا فحسب تولد المعجزة .. يولدها عصرنا بكل ما زخر به من تناقض ومن تهديد للانسان في نفسيته ومفاهيمه وقيمه ... يولدها في شاعر معاصر ، فيه من عمق التجربة ، وعمق الثقافة ورهافة الشعور ما يعينه على اكتشاف عالم الانسان الداخلي ، ويزود بخبرة تعرض

(١) شعراء رمزيون وشعراء معاصرون لسعد صائب .
(٢) (٣) (٤) مجلة شعر — العدد الثاني — السنة الاولى — ربيع ١٩٥٧ ص (٧٢) . (٥) طائر اسطوري يحترق عندما يهرم ويبعث حيا من رماده .

الانسان الى توطيد كيانه وتحقيق ذاته ، فيدعو صادقا مخلصا الى معرفة الانسان لنفسه ، كيما ينسجم مع التقدم الآلي الهائل الذي يوشك ان يجرده من اطار وجوده .. وامست الكلمة الشعرية لديه شأنها لدى الشاعر الانكليزي «اليوت» : خفقة موسيقية، لا يمكن ان تنفصل عن الفكرة، واهتمام الشاعر في اعتقاده يجب ان ينصب على الاحساس الذي يجسد الفكرة في مشاعر القارىء ، وليس على الفكرة ذاتها ، والشاعر الجيد هو من يقدر ان يحوّل الفكرة الى احساس مواز لها معبر عن قيمتها ... ويحوّل الملاحظة الى وضعية ذهنية معينة ، حتى الصورة ذاتها ليست الا كتجسيد هذا الاحساس بأعنف ما يمكن (٢) .. وهذه الظاهرة التي نلمحها في شعر « ايف بونفوا » تؤكد اقوى تأكيد ، ايمان الشاعر بضرورة (توثيق عرى هذا التجاوب بين الشاعر ، وبين مضامين العصر الذي يعيش فيه ، بحيث يأتي الشعر معبرا عن روح العصر اصدق تعبير) (٣) . اجل .. لقد اطلع « ايف بونفوا » على عالم الشعر بمضامين واتجاهات لم تكن تدور في خلد الشعراء الفرنسيين من قبله . ولم يضمّن شعره ذاته العميقة فحسب بل ضمنه احساسه بذوات الاخرين كذلك ، اولئك الذين يوشك التفوق الآلي ان يحجب عنهم شمس الحياة ، ونور المعرفة ، ويودي بهم في ظلام ليل طويل حالك لا ينجلي ، ولقد دفعه هذا الاحساس الغامر الى التمرد على القلق الذي يعانيه الجيل ، بل والتمرد على التجديد الذي احتمى به الشعراء هربا من الحياة فقرر ان يكرّس نفسه لليل اللامعرفة ، وان يعظم في تشوشه في « ابعاد طريقة ما » وان يذعن بلا شروط الى « مشيئة الله التي يحتّمها الفكر المتهدم » (٤) ...

اصدر « ايف بونفوا » العديد من الآثار الشعرية والنقدية التي تدل على سعة ثقافته وشمولها ، وعمق تجاربه وسمّوها ، ولعل من اهمها : مجموعته الشعرية « من حركة وسكون الدوف » ودراسة متقنة عن « رامبو » ومجموعة شعرية ثانية بعنوان « بالامس البيداء سادت » التي نقلناها الى العربية واخترنا منها هذه القصائد الثلاث :

وعيد الشاهد

ما الذي كنت تبتغي نصبه على هذه المائدة
ان لم تكن نار موتنا المزدوجة ؟
لقد خفت ، فحطمت في هذا العالم
المائدة الخالية المائلة الى الحمرة والحالية
حيث تبدأ الريح الموات
ثم هرمت . وانهت الحقيقة الكلامية .
والحقيقة الرياحية في الخارج معركتهما
لقد ارتدت النار التي كانت معبدي
ما عدت اخشى
لا انـــام .

* * *

انظر ها هي ذي الدروب كلها التي كنت تسلكها قد انفلقت
لم يبق لك البتة ، حتى هذه الراحة
ان تمضي حتى تائها .
ارض تضمحل
هي خفق خطاك التي لم تعد تتقدم
علام تركت العوسج يغطي صمتا عاليا .
كنت اتيت اليه ؟
تسهر النار قفراء في روض الذكرى
وانت ظل في الظل
اين انت ؟
من انت ؟

* * *

تكف عن المجيء الى هذه الحديقة
دروب الآلام والوحشة تضمحل
الاعشاب تعبّر عن وجهك الميت .
لم يعد يهمك ان اختبأ في الحجر
المعبد المظلم .
والوجه المبهور لشمس اشد احرارا
في الشجر ،
يكفيك
ان تموت ببطء وكأنك في غفوة
لم تعد تهوى حتى الشبح الذي تقترن به .

* * *

انت الآن وحيد رغم هذه النجوم
المركز دان منك ، بعيد عنك
لقد سرت
بوسعك ان تسير ، لم يعد سيء يتغيّر
هو ابدا الليل ذاته الذي لا ينتهي
انظر ، ها انك انفصلت عن ذاتك
هي ابدا الصرخة ذاتها ، لكنك لا تسمعها
انت الذي يموت ؟
انت يا من لم يعد ينتابك القلق ؟
انت ضائع حقا .
انت يا من لا ينشد الاهتداء ؟

* * *

لقد سكنت الريح سيدة الانين الاكثر قدما
اكون آخر من يتسلح في سبيل الموتى ؟
لم تعد النار الا ذكرى ورمادا .

ولم تعد الا رفيف جناح مغلق
وصوت وجه ميّت .
اتقبل الا تعشق ألا حديد ماء رمادية
يوم يجيء ملاك ليلك ليوصد المرفأ
فيفقد في ماء المرفأ الراكدة
الومضات الاخيرة العالقة في الجناح الميّت ؟
آه ، لو انك تتألم من كلمتي القاسية .
اذن لانتصرت من اجلك على النوم والموت
ولناديت من اجلك .
في الشجرة التي تتحطم
اللهب الذي سيغدو السفينة والمرفأ
ولاثرت من اجلك نارا
لا مكان لها ولا زمان
وربما ربحا تبحث عن النار
وعن ذرى الغابة الميتة
وافق صوت تتهاوى فيه النجوم
ويهوي فيه القمر مقترنا بفوضى الموتى ...

ضجة الاصوات

ضجة الاصوات التي كانت تشير اليك
سكنت
انت وحدك في حظيرة المراكب العتمة
اتراك تسير على هذه الارض المتحركة
بيد ان لديك انشودة ، غير هذه المياه الرمادية في قلبك
املا غير هذا الرحيل الذي يؤكدونه
غير هذه الخطى الكئيبة ، هذه النار التي تترنح الى امام
انت لا تحب النهر بمياهه الارضية الجليلة
ودربه القمري حيث تسكن الريح .
تقول : اني افضّل لو كنت التداعي الاكبر
لقصور على ضفاف اكثر ركودا
وسادعها يبابا .
انت لا تحب الا الليل من حيث هو ليل
يحمل مشعل الزهد في كل شيء هو قدرك ..

شاطيء ميتة أخرى

الطائر الذي تخلّص من ان يكون الفينيق (٥)
باق وحده في الشجرة ينتظر الموت
وقد تلفع بليل الجرح
لا يشعر بالسيف يخترق قلبه .

* * *

اما وقد هرم الزيت واسودّ في المصابيح
وضاعت الدروب العديدة التي كنا اياها
فهو يعود ببطء الى عنصر الشجرة

* * *

انه سيصير ذات يوم
وسيعرف ذات يوم ان يكون الحيوان الميّت
والغياب ذا العنق المقطوع الذي يفترسه النجيع .

* * *

سيهوي الى العشب وقد عثر فيه
على غور كل حقيقة
وسيلطم طعم الدم شاطئه بالامواج
سيتحلل الطائر بسبب بؤس
ما تراه كان صوت يأبى الكذب
وسيغدو انشودة الموتى
بسبب كبريائه وميله الفطري
الى ألاّ يكون سوى عدم .

* * *

سيهرم ، وسيغدو المنحدر الآخر
لهذا الصوت بلدا اشكاله عارية قاسية
وهكذا يسودّ ، وهو عرضة لريح رمال البلى
الزورق المنسحب الى حيث لا يصل الموج
سيصمت ، الموت اقل خطورة ، وسيخطو
لا جدوى الوجود ، الخطوات القليلة الظل
الذي مزّق الحديد اجنحته .

* * *

سيعرف كيف يموت في الضياء المهيب
وسيكون تحدّثا باسم ضياء
اكثر سعادة ، ضياء مقيم في العالم القاتم الآخر .
كان الرمل في البداية
وسيكون النهاية الرهيبة ، تحت دفع هذه الريح الباردة
تقول : اين نهاية هذا العديد من النجوم
وعلام توغل في هذا المكان القارس ؟

* * *

فيم تقول كل هذه الكلمات غير المجدية
ماضين وكان الليل لا وجود له ؟
من الافضل لنا ان نسير ادنى الى خط الزبد
وان نتوغل حتى عتبة بر آخر .
كنا آتين من الازل . كانت اضواء عجلى
تحمل من اجلنا عن بعد جلال البرد
وشيئا فشيئا اخذ يتضح لاعيننا
الشاطيء الذي لمحناه من زمن بعيد
والمسمّى بالفاظ لم نكن نعرفها
اخذ ينمو .

دمشق

سعد صائب

– ما اسمك ؟

ولم اسمع جوابا ، كانت تنظر مستغربة وتخفي ابتسامة .

– ما اسمك ؟

وكأني أردت ان ادخل الى جو هذه القرية ، الى نفس هذه الفتاة الصغيرة ، من اسمها .

اجابتني : وردة ..

قلت لها : انا ايضا ادعى وردة ..

فلم تستغرب ابدا بل مضت تحرك الوعاء النحاسي في يدها الصغيرة وتضرب بقدمها الحافية الجدار المنخفض المتداعي الذي كانت تجلس عليه . قلت لها : اهدني سنبلة ، سنبلة من هناك ، هل تريدين ؟

واشرت لها بيدي وانا ما ازال في السيارة الى كوم شقراء كان يقف بجوارها قروي متشاغل وحماره . نظرت الى حيث اشرت ثم نظرت الي ولم تحرك ساكنا ، فأعدت عليها : اهدني سنبلة شقراء ايا وردة .. وقبل ان تدور عجلات السيارة وقد ازاح القروي حماره المحمل عن الدرب ، رايت وردة تنزل بخفة عن الجدار المنخفض المتداعي وتلتقط عن الارض سنبلة شقراء .

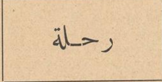
طلبت الى الصديق الذي كان يقود السيارة ان يتريث واخذت السنبلة بحباتها المحجبة المتراصة واعطيت وردة قطعا من الحلوة ملفوفة في ورق ملون ، وابتسمت كل منا للاخرى وتابعت السيارة صعودها في الطريق الوعر الضيق .

* * *

– حية ، انها حية ، الم تشاهدوها؟ حية سوداء .

وكر بعجلات السيارة متراجعا الى الوراء ، فشاهدنا جسدا رفيعا دقيقا اسود ، يتلوى على قارعة الطريق . ترجل عدنان ومالك رغم اعتراضي وتبعتهما فادية ونور ، كأن سحرا يقودهم جميعا فلا يشعر احد منهم بخوف ما ، ومكثت على قلق اشغل





بقلم الآنسة رينه عبودي

نفسي بالنظر الى اشجار الزيتون والدور المتفرقة الى ان صحوت على صوت صيحات ترتفع، فحولت نظري الى النافذة الخلفية فاذا بعدنان ممسك بحبل اسود طويل يلوح به يمينا ويسارا ، هذا الحبل الاسود الطويل الذي كان يتلوى منذ لحظة هناك على قارعة الطريق .

تجمع بعض القرويين .. ها انهم عادوا ، عدنان يفتح صندوق السيارة الخلفي ثم يغلقه على الحية – الحبل ، ثم يعود الى داخل السيارة ، يتبعه مالك وفادية ونور وعلى سيمائهم علائم غبطة ، لم يسعني الا ان اقول :

– يا للمسكينة ..

قال عدنان بصوت مقدام : لقد انقذناهم منها ..

قلت : وما ادرانا ان لم يكن لها نفع ؟

قال عدنان : لقد قتلتها من اول رمية حجر على راسها ..

وتابعنا السير .

* * *

– ها هي الاطلال ..

قلت : هل ننزل هنا ؟

قال وهو يوقف السيارة : اجل ..

– هل ترون هذه الاطلال ، لقد كانت فيما مضى فنادق مخصصة لمن يزور المعبد هناك .. الفنادق والدور على السهل هنا .. هكذا كتب في الكتاب .

واردنا جميعا ان ننظر في الكتاب ولكن سحر المكان استولى على نظرنا فاهملنا الكتاب واكتفينا بما قاله عدنان .

– يا للاحجار الضخمة ، كم هي كبيرة الحجم ..

– انظروا الى هذا البناء كيف يبدو من بعيد .. انه يبدو كاملا كما كان في الاصل .

– وهناك .. ماذا هناك ؟ قنطرة باب ، نصف قنطرة ، اجل .. متناسكة ، تقف باعتداد ..

– هذا قوس نصر كانت تمر من تحته في القديم افواج الزائرين والمحتفلين .

– متى شيد ؟

– تعالوا نلتقط صورة هنا ، قفوا .. الى اين انت ذاهبة ؟ قلت لك سنتصور .. قفوا هنا ، اجل هكذا ..

– لا بد ان نتصور ؟

– يجب ، يجب للذكرى .. هيا اننا لا نأتي كل يوم الى مار سمعان .. لقد شيد كل هذا منذ الف وخمسمائة من الاعوام .. هيا نصعد التل .

* * *

– لقد وضعتم اقدامكم الان في بيتي ، انه بيتي ..

– يا لعظمة بيتك يا عدنان ..

– انه بيتي ، لا ارتاح الا فيه .. هذه رحلتي الخامسة عشرة اليه .. كنت اتيه على الدراجة العادية ، ثم على الدراجة النارية ، ثم في السيارة حين تقدمت في الشباب .

– ان هذا المكان رائع حقا ..

– اهلا بكم .. تعالوا من هنا ،

السمفونية السمراء

مرآة غالية
تعكس الالام الموجعة
في اعماق خلودي

كنا ثملين
نسمع سمفونية
غريبة السمرة
وكلمات
ومن آن لآن
كانت الرياح تدوم
فنغوص
ثم نرتفع
تحديناها ...
تحدينا الرياح
ولكنها
عبرت سياج حديقتنا
فاضحت جرداء

ونطيع رغم ارادتنا
نسمع سمفونية
غريبة السمرة
وكلمات
أواه ـ !
نحن ابناء الآلهة
عبيد القدر

حلب — هناء طيبي

سأقودكم الى اجمل ركن فيه .. لا تسرعي انت من هناك ، لا يغرنك هذا المنعطف انه يقود الى غرفة الحارس الصغيرة .. تعالي معنا ، من هنا قلت ، من هنا .

* * *

ـ في راسها موضوع قصة ..
ـ لا والله لا ..
ـ في راسها موضوع ما ..
ـ المكان يطغى علي ، انا لا افكر بأي شيء .
ـ اذا كتبت يوما عن هذه الرحلة، اي شيء ، فاطلعيني عليه ..

قالت ذلك فادية بصوتها الرقيق ثم امسكت بيد عدنان خطيبها وابتعدت : خطواته واسعة واثقة ، هو في بيته ، اقدامها تتطاير فوق الشوك والاحجار تحاول اللحاق به . قبل ان يختفيا هو بقامته المديدة وفادية نحيلة بقربه ، ادارت الي وجهها وقالت : لا تنسى .

* * *

ـ هل تسمعي صوت السكون ؟
ـ لقد أتعبني اول الامر ، تعودت اذني لغط البشر وكثرة الضجيج ..

ـ

ـ الفكر استقر في الاعلى حيث التأمل ، والناس سكنوا هناك في السهل المنخفض . بنوا دورهم على ارض مسطحة ، لانهم يحبون السهولة في العيش ، بنوا دورهم متجاورة ، لانهم يخشون الوحدة . مدينتهم تترامى على اقدام القلعة العالية ، فهي لهم في ساعة الهواجس والقلق، اطمئنان التأمل ...

ـ

ـ بشرية مار سمعان ضاعت اضمحلت .. الحجارة انصاعت لامها الارض .. ولكن ما زال الهواء، الهواء الذي يأتينا من الافق البعيد ، من السماء الصافية الريانة ، من خضرة السهول المنتشرة الى اللانهاية ، هذا الهواء لا بد هو حفيد ذلك الهواء ، هواء بشرية حصن مار سمعان ، كما نحن احفاد احفاد ذلك الجيل المندثر ...

ـ

ـ كلام البشر لغط .. انظر الى هذا العصفور الاسود كيف يغط في الاطلال ثم يحلق عليها .. انه ينظر الينا ، نحن نستغرب وجوده في هذا المكان المنعزل ، ولا بد هو ايضا ...

ـ

ـ وتلك الازهار الفارهة الطول ، لم يغرسها احد ، نبتت هكذا ، الوانها غير حضارية ..

ـ

ـ والعشب الاشقر الذي ملأ الاركان الشاغرة في هذا الدير العريق .. الا يذكرك بسنابل القمح ؟

ـ

ـ تعالي ، هيا بنا ، لقد سبقونا في طريق العودة .

* * *

ـ ماذا تفعلين بعلبة الكبريت ؟
ـ سأشعل نارا .
ـ لا . اعطيني هذه العلبة سأشعل سيجارة .
ـ سحر المكان يتفقد ناره .. القمر شاحب في السماء ، القلعة تنام في الاعلى هناك ، الحقول موحشة امامنا .. اننا قوم تائهون في هذه البقعة من العالم .. سأشعل نارا ..
ـ اننا نجلس على اريكة السيارة التي اخرجناها ، وناكل « البوظة » الباردة في كؤوس من زجاج انيق اتينا بها ، ونسمع الموسيقى المتضاربة من هذا المذياع الصغير الذي يعمل على البطارية .. اننا قوم متحضرون .. دعينا من النار .
ـ من معه مدية ، اريد مدية صغيرة ..
ـ أسرت العدوى اليك انت ايضا ؟ ما بالك عدنان ؟
ـ فكرة رائعة .. اعطوني مدية اقطع بها شوكا ، شوكا من هناك .
ـ اجل ، فكرة رائعة اشعل لنا النار يا عدنان ، سنرقص ونغني حولها ..
ـ ستضفي بهجة على المكان .
ـ القمر كثير الشحوب وقد رأيت شبح ابن آوى يلوح من هناك ..
ـ سنشعل نارا، سنشعل نارا .
قالت فادية بصوتها الرقيق : اذا كتبت عن هذه الرحلة يوما ، فاطلعيني ..
ونظرت الى عدنان ولهيب النار تتراقص على قسماته الشابة ، واضافت : لا تنسى ..
ثم ضاع عني وجهها وراء ابتسامة .

حلب — رينه عبودي

من كتاب التلخيص لسومرست موم

بقلم مبارك ابراهيم

***



جاء في وصف هذا الكتاب قول ناشره : هذا كتاب يبين لنا مدى الثقافة التي يجب ان يتحلى بها الكاتب الذي يريد ان يبلغ الغاية في فن الرواية . ومدى ما يجب ان يأخذ به نفسه من مرانة ويسير عليه من نظم . كما انه كتاب يوضح لنا المثل التي عاهد « سومرست موم » نفسه على ان يسعى لها دائبا . وان يعمل من اجلها دائما . وهذه المثل هي: البساطة والوضوح وحلاوة الجرس.

ثم جاء سومرست موم يعلل سر ولعه بأن يكون قصاصا يحكي الحكايات . وحكاء يقص القصص فقال : لقد لقد اولعت ولعا شديدا بدراسة الطبيعة الانسانية . ولهذا فقد بدا لي ان خير وسيلة لاذاعة ملاحظاتي على تلك الطبيعة هي ان اكون قصاصا . ولقد دونت في هذا الكتاب بعض ارائي وفلسفتي وكثيرا من التجارب التي احاطت بي في هذه الدنيا التي تخلب اللب بالوان حضاراتها ..

وقد قرا المترجم هذا الكتاب وعن له ان يقتبس منه بعض الفقرات ...

قال سومرست موم :

ليس هذا الكتاب ترجمة ذاتية لكاتبه . وليس هو كتابا من كتب الذكريات .. وانا قد عودت نفسي بطريقة او بأخرى ان أضمن كتاباتي كل ما مر بي في حياتي فتراني حينا اتخذ من احدى تجاربي موضوعا لاحدى القصص . ثم احيطها بهالة من الحادثات اخترعها اختراعا لتصويرها وتوضيحها .. وفي كثير من الاحيان اتخذ من الناس – الذين تربط بيني وبينهم صلات وثيقة او صلات غير وثيقة – شخوصا البسهم لباس تلك الحادثات ..

والحقيقة والخيال يمتزجان في قصصي امتزاجا تاما حتى اني اذا عدت اليوم الى قصصي فاني لا أكاد اميز بين ما هو من وحي الحقيقة وبين ما هو من نسج « الخيال » ولقد كانت حياتي متعددة المظاهر متنوعة الشكول . ولكنها – على اية حال – حياة لم تشبها شوائب المغامرات ..

وانا ما نظرت يوما للانسان بحسبانه غاية في حد ذاته . ولكن بوصفه مادة من المواد التي قد تفيدني ككاتب من الكتاب ..

ولقد عنيت دائما بالرجال المغمورين اكثر من عنايتي بالمشهورين من الرجال . ذلك لان المغمورين يمثلون ذواتهم دائما تمثيلا صادقا في اكثر الاحيان . وهم ليسوا في حاجة ابدا الى خلق صورة تكون لهم درعا تحميهم من عالم الناس او تجعلهم يؤثرون في ذلك العالم .. وهم بفطرتهم وبما جبلوا عليه تتاح لهم الفرصة للتطور في دائرة نشاطهم المحدودة ..

ولما كانوا هم بمنأى عن اعين الجماهير فانه لم يخطر ببالهم ان لديهم من الامور ما يستخفون به عن الاعين ..

وهم يعلنون عن الوان الخصال التي تفردوا بها ذلك لانهم لم يمر بخاطرهم ابدا انهم من شواذ القياس ..

وبعد ذلك كله فاننا نحن الكتاب نعنى دائما بالرجال العاديين . ذلك لان التجربة قد اثبتت ان الكتابة عن الملوك والطغاة لا تصلح ابدا ان تكون اساسا صالحا لعمل فني سليم . ذلك لان صورهم الحقيقية لا يمكن ان تستشفها العين .

والرجل العادي متعدد الجوانب متباين العناصر ومادته لا تنتهي .. وانا من جانبي ارى ان قضاء شهر فوق جزيرة منعزلة وفي صحبة جراح بيطري احب الي من ان اقضي شهرا في صحبة الوزير الاول ..

ويقول سومرست موم :

في زمان الشباب تبدو السنون بطيئة الحركة حتى ليكاد يظن المرء انها لن تنقضي .. وحتى في منتصف العمر يسهل على المرء ان يجد العذر الذي يبرر به تأجيل عمل اليوم الى غد .. ولكن يوم تتقدم بالمرء السنون يبدا التفكير في الموت . وبالتالي في كتابة ما يوصي به .. وليس حتما على المرء ان يدركه الموت ساعة الفراغ من كتابة وصيته .. وانما هو يكتب الوصية كشيء تمليه الحيطة. ويجعله يقضي بقية حياته لا ينتابه الهم والقلق..

ويقول ايضا : لا يستطيع رجل من الرجال ان يكشف عن ذات نفسه كشفا كاملا .. ولم يكن الغرور وحده هو الذي صدّ اولئك الذين حاولوا ان يكشفوا عن ذات أنفسهم عن ذكر « كل الحق » .. وانما الذي صدهم هو مراعاة الصالح الشخصي . فجان جاك روسو في اعترافاته يقص حوادث هزئت نفوس الناس هزا عنيفا . وهو بوصفه تلك الحادثات وصفا تميز بالصراحة كلها قد زوّر القيم . وبذلك اضفى عليها اهمية اكثر مما لها في واقع حياته ..

ولقد تخللت حياة « روسو » حادثات تمت الى الفضيلة بأسباب قوية او قل حادثات تقف بين بين اذا وزنت بموازين الخير والشر . وتلك الحادثات لم يذكرها «روسو» ذلك لانها كانت حوادث عادية لا تستحق – في نظره – التدوين والتسجيل ..

ويقول موم :

يوم بدات اكتب كنت كمن يفعل اقرب الافعال لصوقا بفطرته وطبيعته .. ولقد عكفت على الكتابة كما يعكف البط على السبح في الماء .. ولم تأخذني الدهشة ابدا من

ان أصبح كاتبا . ويبدو أنه لم يكن هناك سبب ادى الى صيرورتي كاتبا غير رغبة لا تصدأ وميل لا ينازع . ولست اعرف الحافز لتلك الرغبة وذلك الميل . فقد ظلت اسرتي فترة تنيف على المائة عام تمارس مهنة القانون . وقد كان جدي واحدا من اثنين انشئا «الجماعة المتحدة للقانون» .. وفي مكتبة المتحف البريطاني قائمة طويلة تذكر مؤلفاته القانونية .. وهو لم يكتب غير كتاب واحد منقطع الصلة بالموضوعات القانونية . وكان هذا الكتاب مجموعة مقالات نشرها في المجلات الجادة التي كانت تصدر يومذاك .. وكانت تلك المقالات تنشر غفلا من امضاء صاحبها .. ولقد وقعت لي نسخة من هذا الكتاب فألفيتـه مجلدا تجليدا فاخرا . ولكن لم اقراه ابدا .. وطالما تمنيت بعد ذلك ان احصل على نسخة من ذلك الكتاب .. ولو تمَّ لي ذلك لاستطعت ان اعرف اي الرجال كان ذلك الجد ..

ويقول موم : ولقد مات ابواي يوم كنت صغيرا فتوفيت امي وانا في الثامنة ومات ابي وانا في العاشرة . ولذلك فلست اعرف عنهما الا القليل الـذي وصلنـي بطريق الشائعات .. ويقال ان امي كانت بارعة الجمال . وان ابي كان دميم الخلقة .. وان اهل باريس في ذلك الحين كانوا اذا رأوهما معا يطلقون عليهما اسم «الجمال والقبح» .

وبعد موت أمي تولت خادمتها امر العناية بي . وكنت الى ذلك الحين في رعاية الخادمات الفرنسيات . وكنـت قد ارسلت الى مدرسة فرنسية للاطفال . ولا بـد ان معرفتي بالانجليزية كانت جد قليلة حتى لقد يروى انني صحت في احدى المناسبات ـ وكنت قد رأيت حصانا يطل من نافذة احدى عربات السكك الحديدية :

Regardez maman voilà un Orse

(والشاهد في الكلمة الاخيرة انـه لفـظ بكلمـة حصان بالانجليزية كما لو كانت كلمة فرنسية) .. ولقد ظللت زمانا طويلا غير متثبت من نطقي بالكلمات الانجليزيـة . وكنت لهذا موضع سخرية وضحك ..

ويقول موم : يوم قرأ هنري آرثر جونس (١٨٥١ ـ ١٩٢٩) اولى قصصي قال لواحد من اصحابي انه يتنبأ لي بأن اكون واحدا من المع الروائيين ..

ولقد كانت لغتي عادية . وكانت مجموعـة مفرداتي محدودة العدد . وكانت قواعد النحو عندي غير ثابتـة الدعائم . وكانت عباراتي لا تمت الى الفصاحة بسـبب . ولكن الكتابة عندي كانت احدى غرائزي الفطرية شأنها شأن التنفس ..

وكنت اكتب الحوار في سهولة ويسر حتى اذا دعتني الحاجة الى ان اكتب صحيفة واحدة اصف فيها شيئا من الاشياء احاطت بي الحيرة من كل مكان ..

ولقد فتنت بنثر « سويفت » (صاحب كتاب رحلات جليفر) فعقدت العزم على ان انهج نهجه واسير سيرته . واخترت من قصصه (قصة دن من الدنان) التي يقـال ان « سويفت » لما قرأها وهو شيخ كبير صاح يقول : أي « عبقري كنته في ذلك الحين .. ! »

ثم يمضي موم فيقول : ولقد نقلت فقرات من تلـك القصة كنت احفظها عن ظهر قلب ثم اعيـد كتابتها من الذاكرة . وحاولت ان ابدل الكلمات او اغير من نظامها فلم اجد خيرا من الكلمات التـي اختارها « سويفـت » ولا نسقا ابدع مما ورد في الاصل . ذلك لان نثر « سويفت » قد برىء من العيوب ..

ثم يقول موم : ـ وانا لحبي للبساطة والوضوح كنت اضيق ذرعا بأولئك الكتاب الذين يطلبون من القارىء ان يعني نفسه بفهم معانيهم ..

ان اولئك الكتاب اذا قرات لهم الفيت نفسك مضطرا ان تعيد القراءة مرتين لكي تفهم ما يريدون ان يقولوه . وفي كثير من الاحيان لا تستطيع فهم ما يقولون الا حدسا وتخمينا . ذلك لان من البديهي انهم لم يقولوا القول الذي كانوا يقصدون ..

وهناك سبب اخر من اسباب الغموض وهو ان الكاتب من اولئك الكتاب ليس واثقا في قرارة نفسه من المعنى الذي يقصده بسبب ان انطباع المعنى في ذهنه هو انطباع غير واضح . وذلك اما لنقص في ادراكه العقلي . واما لكسل هو من طبيعته .. وقد يرجع ذلك في كثير من الاحيان الى ان كتابا كثيرين من اولئك الكتاب لا يفكرون قبل الكتابة ، ولكنهم يفكرون اثناءها .. وبعض الكتاب من هذا الصنف يتملق نفسه فيظن انه اعمق من ان يعبر عن آرائه تعبيرا واضحا يستطيع ان يفهمه كل القارئين .. وغاب عن فطنة اولئك الكتاب ان العيب في هذا هو عيب عقولهم التي لم تؤت القدرة على الاشعاع المضيء ..

ولقد قيل ان النثر الجيد يجب ان يكون شبيها بحديث الرجل المهذب .. والحديث يكون سائغا يوم تكون العقول خالية من تاريخ الهموم ..

هذا : والراي عندي ان ابرع كتاب النثر فـي عالمنا الحديث هو « فولتير » ..

ثم يمضي « موم » فيقول : ان الناس يتهمونني بأننـي كاتب ساخر عابس واني أصور الناس صورا هي أبشع من الصور التي جبلوا عليها .. ولست اظنني فعلت هذا . وكل ما فعلته اني ابرزت بعض الملامح التي يغض الطرف عنها كتاب كثيرون .. واني لارى ان اشد ما يلفت النظر في طبائع الناس هو النقص في شيم الوفاء ..

ولقد كنت اراني جديرا بالملامة والعذل اذا كنت لا ارى الا نقائص الناس وعيوبهم .. واذا كنت اغض الطرف عن فضائلهم ومحامدهم .. ولبست انا ذلك الرجل فلقد طالما سرني ان قدرا كبيرا من الفضائل والمحامد هو من خلائق اناس هم موضع اللوم والتثريب .. ولقد اشدت بتلـك الفضائل لاني رايتها وشهدتها .. ولقد بـدت لـي تلك المحاسن اكثر بهاء وصفاء ذلك لان ظلام الخطيئـة يحيط

بأصحابها .. ولقد يبلغ بي التأثر مبلغه يوم ارى الخير .. واني لتدفعني رغبة ملحة في ان اغض الطرف عن خبائثهم ذلك لاني لست القوّام على امور الناس . كما اني لست بقادر على ان اقف من انداذي موقف القاضي والحكم . وحسبي ان ارقبهم من مكان قريب ..

وانا لست أومن بأن العبقرية امر يختلف كل الاختلاف عن الموهبة او القدرة الفائقة فانا لا ارى – مثلا – ان الكاتب « سرفانتس » صاحب كتاب « دون كيشوت » قد أوتي موهبة غير عادية على الكتابة .. ولكن قل من الناس من ينكر عليه العبقرية والنبوغ ..

ويقول سومرست موم :

من الخطر ان ندخل الجماهير خلف « كواليس » المسارح .. اننا ان فعلنا زالت عن اعينهم غشاوة خداع البصر ثم تولاهم السخط والغضب . ذلك لانهم كانوا – قبل ذلك – يحبون الخديعة والوهم ..

ويقول موم :

يقول الناس : ان هناك مغنيا بالفطرة ومغنيا بالصنعة . ولو ان من الثابت ان المغني بالصنعة لا بد له ان يؤتى صوتا يصلح للغناء . ويعينه على الدربة والمرانة .. اما المغني بالفطرة فقد لا يلقى الدربة الكافية . وقد يكون محروما من اللباقة والمعرفة . وقد يكفر بكل قواعد الفن . ولكن سحر صوته يأسر لب سامعه اسرا لا فكاك منه حتى ليغفر له كل اجتراء على قواعد الفن واصوله . وحتى ليغفر له كل ما يقترفه من عامية في الفن . وذلك عندما يلقى السامع نفسه مسحورا بالنغم العذب . والصوت الندي ..

ويقول موم :

لقد تمنيت لو انني في شبابي قد ظفرت بمن يحسن توجيهي في القراءة . واني لاحس اليوم بالاسى عندما افكر في الوقت الذي اضعته في قراءة كتب لم يكن فيها ما يفيد ..

ولقد كنت في الثامنة عشر من عمري اعرف الفرنسية والالمانية وقليلا من الايطالية . ولكني كنت الى جانب ذلك أميا الى اقصى حدود الامية من وجهة التعليم . وكنت اعرف تمام المعرفة اني جاهل كل الجهل ..

ولقد قرات كل ما صادفني في طريقي حتى لقد بلغ من حبي للاطلاع اني كنت مستعدا لان اقرا كتابا في تاريخ بلاد (بيرو) او مذكرات راع من رعاة البقر .. واني لاظن ان هذا اللون من القراءة قد امدني بكثير من المعارف العامة التي يجب على الروائي ان يلم بها ..

ولقد دوّنت يوما قائمة بالكتب التي قراتها في شهرين فكان بيانها كما يلي : – ثلاث مسرحيات لشكسبير ، ومجلدان من كتاب « تاريخ روما » للمؤرخ الالماني مومسن (١٨١٧ – ١٩٠٣) وصحائف كثيرة في الادب الفرنسي ثم قصتان او ثلاث . ثم قليل من الادب الفرنسي الكلاسيكي ، ثم كتابان يبحثان في العلوم . ثم مسرحية من مسرحيات (ابسن) ..

والحق انني كنت من القراء المجدين يوم كنت مبتدئا ..

ثم يقول موم : ان على الروائي ان يلمّ ببعض الالمام بالقضايا التي تشغل اذهان الناس . كما ان عليه ان يجتنب الحذلقة .

ان بعض الشباب المتلهفين على ان يصبحوا كتابا يطلبون الي احيانا ان ادلهم على بعض الكتب التي لا بد لهم من قراءتها .. وهم قلما يقرؤن تلك الكتب . وهم لا يعنون ابدا بما فعل الذين سبقوهم في هذا الميدان .. وهم يحسبون انهم يعرفون كل شيء تقضي به الضرورة للاحاطة بفن الرواية . وذلك عندما يكونون قد قراوا رواية او روايتين للكاتبة (فرجينيا وولف) ورواية واحدة لمستر (ا.م. فورستر) والكثير مما كتبه (د.هـ. لورنس) ..

انه لحق ان على الاديب الناشىء ان يلمّ بالموضوعات التي يكتبها معاصروه وكيف يكتبونها . ولكن المؤلفات القديمة الكبرى تصلح دائما لان تكون مقياسا للموازنة ..

ثم يقول موم :

ان مهنة الممثل مهنة شاقة . ولست اتكلم عن الفتيات اللائي يعتلين خشبة المسرح وكل مؤهلاتهن الملاحة وصباحة الوجوه .. وكذلك لست اتكلم عن الفتيان الذين ينحون هذا النحو لان لهم خدودا اسيلة . وقدودا حسنة .. فان اولئك الفتيات والفتيان سوف يفارقون خشبة المسرح فتتزوج الفتيات . ويعمل الفتيان عند تجار الخمور .. انما انا اتحدث عن الممثلين المحترفين الذين اوتوا موهبة طبيعية يريدون ان يستغلوها ..

وحرفة التمثيل حرفة تتطلب من مريديها عملا دائبا حتى يبلغوا درجة التفوق والاستاذية وهي حرفة تتطلب التجمل بالصبر الذي لا حدّ له .. وهي حرفة مثقلة بأحمال من خيبة الامل .. وهي حرفة يجب على صاحبها ان يروض نفسه على البطالة الاجبارية .. وهي حرفة جوائزها غير مجزية ..

والممثل واقع دائما تحت رحمة الحظ . وهو يخضع لهوى الجماهير الذي لا يعرف الاستقرار .. واذا هو فشل في ارضاء الجماهير فسرعان ما يلفّه النسيان بردائه ..

ويقول سومرست موم :

اني احترف الكتابة . وقد كان من الجائز ان يكون من نصيبي احتراف الطب او المحاماة .. وحرفة الكتابة حرفة تبعث في النفس السرور . ولذلك فانه ليس من المستغرب ان يحترفها الكثيرون من غير المؤهلين لها ..

من دواعي سرورها ان الكاتب حر في ان يعمل في اي مكان يختاره وفي اي زمان ينتقيه . وهو حر في ان يكف عن الكتابة اذا احس بطارىء من مرض او طاف به طائف من هم او قلق .. ومع ذلك فهي حرفة لها عيوبها .. من هذه العيوب ان الدنيا كلها بجميع سكانها ومناظرها

الى عينين

●

سل بلبنان عن فؤادي فقد ضاع واضحى واهي الرجاء محطم
وشراعي على جزائـر فيروز يهـيم الفنـان فيهـا ويحلم
بالجمال القدسي ، بالحب ، بالفن ، بأغلى امنيـة لمتيَّم .
بعيون لم يحلم الكـون لولاها ولم تزهر الريـاض وتبسم
ترسل الشعر خمرة من شفاه ينتشى الراح فوقها لو تكلم
ويغيب الوجود من نظرات حالمات بألـف معنـى مبهـم
يـا جـمالا تأنّـق الفن فيـه ثم لما تمّ الجمالُ تبسم
عبقري الابداع يلهث وحي الشعر عن وصفه ويعجز ملهم
لـم ازل بعـده بغـير فـؤاد أتـراه بـما دهانـي يعـلم

الشارقة — صقر بن سلطان القاسمي



وحادثاتها هي المادة التي تستطيع ان تشكلها كيف شئت . ولكنك على الرغم من ذلك فانك لا تستطيع الاخذ والعطاء الا فيما يتجاوب مـع المعين الخفـي الكائن فـي اعماق طبيعتك .. والعيب الثاني انه يتعين على الكاتب المحترف ان يدخل السرور على نفوس قارئيه .. وهو ان لم يرزق العدد الكافي من القراء ادركه الفقر وامضّه الجوع ..

وينبغي لي بعد ان تكلمت عن عيوب الحرفة ان اتكلم عن اخطارها فأقول : ان من الواضح انه غير متاح في كل حين للكاتب المحترف ان يكتب عندما تدعو الحاجة الـى الكتابة فاذا انتظر هو حتى تواتيه الخواطر او حتى يجيئه الالهام كما يقول فان انتظاره سوف يطول . ثـم يجيء محصوله في النهاية اما نزرا واما منعدما ..

ان الكاتب المحترف عليه ان يخلق اللحظة المواتية وعليه ان يسيطر على تلك اللحظة وان يخضعها لامره ونهيه . وذلك بأن يخصص لعمله ساعات نظمت مواقيتها ثم تصبح الكتابة ــ بحكم تقادم الزمن ــ عادة من عاداته . ويصبح مثله كمثل الممثل الذي اعتزل المسرح وبات ينتابه القلق اذا حانت الساعة التي كان من عادته ان يغدو الى المسرح ليعد نفسه لتمثيل دوره .. فاذا تمكنت من الكاتب تلك العادة بدا يكتب بطريقة تلقائية . وجاءته الكلمات منقادة تجرر اذيالها ..

والكلمات ــ كما هو معروف ــ توحي بالآراء . اذ هي لا تعدو ان تكون افكارا قديمة عريت من اثوابها ..

والكاتب يحسن صنعا اذا استهدف من الكتابة ان يريح نفسه من موضوع طال تفكيره فيه حتى ناء بحمله ..

واني لاجترىء على القول ان الكاتب لا يمكن ان يصبح كاتبا مجيدا الا اذا اكثر من الكتابة اكثارا يجاوز الحد . وبذلك تصبح الكتابة عنده عادة .. وان تكن العادات في الكتابة كالعادات في الحياة لا تكون ذات فائدة ونفع الا اذا تخلى عنها اصحابها يوم تصبح لا جدوى فيها ولا نفع..

والخطر الاكبر الذي يحيق بالكاتب المحترف هو ذلك الخطر الذي يغفل الكثيرون عنه وعن الحذر من عواقبه . وذلك الخطر هو : النجاح ..

والنجاح الذي يدركه الكاتب بعد كفاح شاق مرير قد يشكل فخا من الفخاخ التي تعيق الكاتب وتقف في طريقه وتقوده الى التهلكة .. فعلى الكاتـب ان يحـذر النجاح ويخشاه .. وهو اذا فعل ذلك فقد اتبع سبيل الهدى والرشاد ...

القاهرة — مبارك ابراهيم

احتفلنا اليوم بعيد زواجنا الاول ، في حفل بسيط ضم بعض الاقارب والاصدقاء .

قالت لي صديقتي عفة بشيء من القسوة :

– الى متى هذا الكسل يا سهير ، لقد مضى سنة على زواجك ، ولم نسمع بعد انك بانتظار حادث سعيد !

فتحاملت على نفسي واجبتها ضاحكة :

– ولماذا كل هذه العجلة ؟ .. اننا ما زلنا عروسين ، ولا نريد الان اطفالا يسلبون راحتنا .

ثم غيرت مجرى الحديث ، ولكن كلمات عفة ما تزال تقرع اذني :

– لماذا لم انجب حتى الان ؟

سؤال سمعته من الكثيرات ، وكنت اختلق له اجوبة مختلفة وجميعها كاذبة ، فانا احب الاطفال واعبد ضجيجهم ومرحهم ، وكذلك زوجي يشاركني هذا الحب .

انصرف المدعوون جميعا ، فنظر الي رشاد وراى شيئا من الالم يبدو على وجهي ، وعندما سألني عن سبب ذلك ، قلت له انني متعبة . ثم وضع لي الاسطوانة التي احب سماعها ، فانسابت انغامها حلوة لذيذة ، لم اشعر الا والدموع في مقلتي ، وقلت له كالهامسة :

– رشاد اني احبك اكثر من نفسي ولكني خائفة .. خائفة !

– ومن اي شيء تخافين يا طفلتي العزيزة ؟

قلت بحرارة وحزن :

– اخاف من الايام ، انها لن تدعنا هانئين سعيدين ، وما اظنها الا متربصة بنا الدوائر ، منتهزة الفرصة لكي تنقض علينا وتختطف سعادتنا :

فأجابني ضاحكا :

– دعي هذه الاوهام والمخاوف ، اذكري انني معك دائما وابدا .

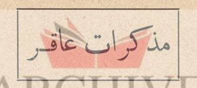
ذهبت الى فراشي ، ولكنني لم استطع ان انام ، فقد اخذت الاوهام والافكار تتصارع في راسي : انني احب رشاد فهو حياتي واعز علي من نفسي ، وفي كل يوم يكبر حبه وينمو ، ولهذا اريد له طفلا .

ترى ما هو المانع في عدم انجابي ؟ ولماذا لا اذهب الى طبيب مختص ؟ هذا معقول جدا .. ولكن هل اخبر رشاد ؟ ام اذهب دون علمه ؟

لا حاجة للكتمان سأخبر رشاد بما عزمت عليه ، وما اظنه الا موافقا على ذلك .

صارحت رشاد بما عزمت عليه ، فوافق على ما قلت ، واصطحبني الى طبيب يعرفه ، وعند الباب شعرت بالخوف والقلق ، وتمنيت لو عدت ادراجي ، اخذ قلبي يخفق بشدة ، وتساءلت في سري :

– ترى ما سيقوله الطبيب لي ؟ ولكني شجعت نفسي قائلة :



بقلم سلمى لحام العطري

– لقد تقدم الطب كثيرا ، وان كان هنالك اي مانع من حملي ، فلن يعجز الطب عن علاجي .

دخلت غرفة الانتظار المخصصة للنساء ، فأخذت مكاني بينهن ، فسمعت ورايت تناقض الحياة :

سيدة تشكو كثرة الاطفال ، جاءت الى الطبيب ، تطلب مانعا للحمل ، واخرى تضع حياتها ومالها لترزق بطفل يؤنس وحشتها ، ويبقي زوجها لها .

سمعت الممرضة فجأة تناديني ، فدخلت مع زوجي وقد اشتد خوفي وكثر هلعي .



سألني الطبيب عما بي فأخبرته بشكوكي ومخاوفي ، فأجرى لي فحصا دقيقا ، ثم رايت قسمات وجهه قد تغيرت وبعدها قال لي بشيء من الصعوبة :

– يجب اجراء عملية لك ، ولكني لا انصحك بذلك فهي غير مضمونة النجاح ، وفيها خطر على حياتك .

كانت هذه الكلمات ، بمثابة الحكم بالاعدام علي ، ترامیت على المقعد ، وشعرت براسي يكاد يتصدع ، وقلبي يوشك ان يكف عن الخفقان . نظرت الى وجه زوجي ، فاذا به اصفر شاحبا يحاكي وجوه الاموات .

خرجنا من عند الطبيب وسرنا في الطريق صامتين خاشعين ، نشيع احلامنا وآمالنا . قطع رشاد حبل الصمت فقال لي : – سهير لم كل هذا الحزن ؟ هل الاطفال كل شيء في الحياة ؟ دعينا نعش بدون « عفاريت » .

ابتسمت بحرارة ، فأنا اعرف رشاد ، واعرف ان هذه الكلمات خارجة من شفتيه فقط .

دمعة في عيني ، وآهة في صدري ، وغصة في حلقي ، اينما سرت ، اينما ذهبت الحزن ملء قلبي ، وطيور اليأس تعشش في فؤادي ، وغيوم الحزن تحجب عن ناظري شمس الحياة وسعادتها .

عاقر .. عاقر .. ما اصعب هذه الكلمة وما اقساها ، ان لها علي وقعا اقوى من السياط ، واقسى من حكم الاعدام على بريء مظلوم . وكذلك رشاد بات حزينا مهموما ، وان كان في بعض الاحيان يتصنع المرح ، ولكن حركاته وسكناته تعبران عما يختلج في صدره من الحزن والالم . ولم يعد بحاجة الى علبة ثقاب ، فما ان تنتهي لفافة حتى يتناول اختها ، انني ارى حزنه ولكن ماذا افعل ؟

تحاملت على نفسي : ومن فؤاد تتقطع نياطه قلت له :

– رشاد لقد علمت اني لا استطيع الانجاب ، ولا اريد ان تضيع

عمرك معـي ، وتعيش بـدون طفل يحمل اسمك .

اختنق صوتي بالبكاء ، ولم استطع المضي في حديثي ، فأخذ رشاد يكفكف دمعي . ونظرت اليه ، فرايت دمعة حائرة في عينه وقال لي :

— دعي هذه المخاوف والاوهام ، لن اتركك ابدا ، ومن الظلم ان اعاقبك على ذنب ليس ذنبك ، هذه مشيئة الله وارادته ! وانا سعيـد بحبك وحنانك .

ابتسمت بسعادة ، وكان لكلماته وقـع كوقـع الندى عـلى الزهرة العطشى . اطمأن قلبي وهدا خاطري، وعلمت اية كذبة هذه التي كذبت بها على نفسي وعلى رشاد حينما طلبت منه ان يبتعد عني .

ما اقسى قلـوب الناس ، كـأن افئدتهم قدت من صخر .

اليوم جـاءت اخـت زوجـي ، وبصحبتها اولادها . قالت لي وهـي تتجاهل علمها باني لا استطيع الانجاب:

— لقد علمت انك حامل ، فسررت لهذا الخبر كل السرور ، ان الاولاد زينة الحياة الدنيا وبهجتها .

جمدت في مكاني ، وصرخت في اعماقي: — يا لجبروت الانسان وتكبره، يا لقسوته وغلظته، يا للخبث والدهاء، انها تتجاهل علمها بأنني عاقر . وهنا اجابها زوجي :

— ان ما سمعته اشاعـة كاذبة ، فنحن لا نريد اطفالا الان .

— ولماذا لا تريدان اطفالا ؟

انا نريد ان نفرح بولد لك « الله لا يحرم الاولاد لانسان » .

اخـذ رشاد يداعـب اولاد اخته ويضاحكهم ، فأحسـست بأنه لن يقدم على هـذه التضحية ويعيـش دون اطفال . انه سيتركنـي ذات يوم لا محالة .

شعـرت بحزني يتكاثـف ، والمي يتضاعف لقد حرمت من الاطفـال ، وسأحرم زوجي ، مـن هـو اعز من نفسي ، احـب رشاد ولا اريـد ان يتركني ، واشعر بالخوف والعذاب والحيرة ، ماذا افعل يـا الهي لكـي احتفظ بحبه ؟

* * *

ذهبـت الى استقبـال صديقتي سلوى ، بلغ اذني صوت همس يدور بـين سلوى وسيدة اخرى اجهلها . ادركت اني مدار حديثهم ، فأصغيت بحواسي كلها ، سمعت الزائرة تقول :

— من هذه انها جميلة فاتنة ؟ . .

— انها زوجـة رشاد حمـدي . مسكينة انها عاقر لا تنجب .

وعلا صوت السيدة قليلا فقالت :

— وماذا فعل زوجها ؟

اجابتها سلوى بصوت مسموع :

— لم يفعل شيئا بعـد « ولكن الرجل ليس فيه خير » غدا يتركها ويتزوج غيرها .

لم استطع المكوث بعدما سمعت عدت الى منزلي وكلمات سلوى مـا تزال تقرع اذني . « الرجل ليس فيه خير غدا يتركها ويتزوج غيرها » .

احسست بالنار واليأس يستوليان على كياني ، واصبحـت كالمجنونة لا اعلم ما هو مصيري وما هو مستقبلي اني اعيش فـي دوامة مـن القلق والخوف والحيرة . رب احفـظ لي رشاد ، وابقه الى جنبي .

* * *

أرى زوجي منصرفا بعض الشيء عني . أخذت اقدح زناد فكري لاجد حلا يمنع رشاد من هجري . وهبته خالص حبي ووفائي ، واغرقته بسيل حناني واسرعت بتلبية طلباته، ولكني اشعر انه بدا يبتعد ويبتعد عني .

زارتني اليوم جارتنا « ام محمد » وهي سيدة عاقر جاوزت الخمسين من العمر ، فرحت بها وتمنيت لـو عرفت سبب احتفاظها بزوجها وعدم زواجه بأخرى ، هممت بسؤالها عن سبب ذلك ، ولكني ترددت قليلا ، ثم تجرات وسألتها فقالت لـي بلهجـة الخبيرة المجربة :

— الامر بسيط يا ابنتي لا تدعيه يثري او يدخر شيئا ، فكلما اشتد فقر الـزوج ازداد حبـه واخلاصه لزوجته ، واذا اثرى وبات من اصحاب الاموال تبطر بزوجته واخذ يبحث عن اخرى غيرها .

بدت لي هذه الفكـرة معقولة الى حد ما ، لـم ادع لنفسـي مجـالا لمناقشتها ، بل قررت تنفيذها ، انـني اريد الاحتفـاظ برشاد بأية وسيلة كانت .

بـدات بمطالبـة رشاد بأمـور وحاجيات مختلفة طلبت منه مئة ليرة لشراء ثوب ، فلبى طلبـي عن طيب خاطر . انبني ضميري عـلى ذلك ، وكدت اعيد المبلغ اليـه ، فزوجي موظف لا يتجاوز راتبه ثلاثمئة ليرة ، وليس من العدل بشيء ان استولـي على ثلث راتبه ، ولكني تذكرات كلام « ام محمد » فأخذتها بعـد صراع طويل .

اصبحت اعنـى بمظهـري ، بل افرطت في ذلك . دعيت الى حفلة فذهبـت اليها بصحبـة زوجي . كنـت محط الانظار بثوبـي الانيق وتسريحتـي الجميلـة . سمعـت الكثيرين يرددون :

— كم هي جميلة وفاتنة !

— تنهدت بحسرة وقلت في سري : ما فائدة جمالي ؟

اني اتمنى ان اكون زنجية قبيحـة ولي ولد .

خرجت من الحفل ، وايقنت انـي شقية مهما تأنقـت واقتنيت مـن الثياب ، فحياتي فارغة لا معنى لها ولا طعم .

* * *

اخبرني زوجي ان معه ثمانمئة ليرة فسألته بتعجب ودهشة :

— ومن اين لك هذا المبلغ ؟

قال لي : انه قـد ادخرهـا من مصروفنا الشهري ، ثم اردف قائلا :

— لقد بت مسرفة يا سهير وليس هذا من طبعك ، يجب ان تساعديني على التوفير والادخار يا حبيبتي ، من اجل تأمين مستقبلنا .

ان رشاد محق بما يقوله ، ويجب علي ان اقتصد ولكن . . . لماذا ؟ ومن اجل من ؟ من اجل المستقبل ؟

وهل لي مستقبل ؟
غدا يتركني ويتزوج من اخرى تنجب له !
شعرت بالنار تتقد في فؤادي ، والشقاء يستولي على كياني . لن ادعه يدخر ، سأفعل المستحيل لكي اجعله ينفق ما ادخره .

* * *

ذهبت الى السوق ، فرأيت معطف فراء اعجبني ، سألت عن ثمنه ، فقال لي البائع ان ثمنه الف ليرة ، صممت على شرائه . وعندما عاد رشاد من عمله ، اخبرته برغبتي هذه . فقال لي بدهشة :
ــ ولكني اعلم ان الفراء غالي الثمن اجبت ببرود :
ــ نعم أن ثمن المعطف الذي اريده الف ليرة .
اتسعت حدقتا عينيه وقال :
ــ الف ليرة فقط ... قليل جدا . ولكن من اين لي هذا المبلغ يا « ماري انطوانيت » ؟ !
قلت : أولم تخبرني بأن معك ثمانمئة ليرة ؟ وتستدين من والدتي مئتين تسددها لها بالتقسيط ! ..
فهب كالملدوغ وصرخ قائلا :
ــ جميل جدا هذا وهل معقول . أتعلمين اني لبثت سنة كاملة حتى استطعت توفيرها ؟ ثم تطلبين مني ان انفقها واستدين لاشتري الفراء .
قلت بأصرار :
ــ اريد المعطف انني زوجتك وعليك ان تؤمن لي جميع طلباتي .
فنظر الي بغضب وقال بحدة :
ــ سهير انك تلعبين بالنار ، فعوضا من ان تقدري تضحيتي تبدر منك هذه الاعمال .
اصبت بصدمة عنيفة ، انه يذكرني بنقصي فصرخت قائلة :
ــ نعم اعلم اني لا انجب ، وان حياتي مهددة في كل ساعة بالتحطيم .
ثم انفجرت باكية ، حاول زوجي ان يهدىء روعي ، ولكني صحت به ودفعته بقوة عني فذهب مغضبا .

* * *

اصبح رشاد دائم السهر خارج المنزل ، وشعرت انه يتهرب مني ، واحسست انه في كل يوم يبتعد عني أكثر فأكثر .
اني اتعذب ماذا افعل ؟ لقد فشلت جميع محاولاتي في ابقائه الى جانبي .
امس ، عندما كنا نتجول في السوق وقف يحملق في واجهة محل لبيع لعب وثياب الاطفال ، فرأيت شروده وحزنه ، وقرات في عينيه ما يجول في خاطره . سحبته بلطف من ذراعه واخذت احدثه واروي له النكت ، فكان يبتسم مجاملة ، فعلمت ان مصيري قد قرب ، ونهايتي حانت .. ولكن .. مستحيل لن ادعه يبتعد عني انه اغلى من حياتي ، من روحي .
اكاد اجن ، لا أعلم كيف اتصرف ! تارة اضحك وتارة ابكي ، ومرة أتزين واتأنق ، ومرة اهمل زينتي واناقتي . اني اعيش بقلق وحيرة وخوف ، كمن يركب سفينة ضائعة في بحر هائج متلاطم الامواج ، يتقاذفها الموج ، ولا يعلم راكبها اين نهايته وما هو مصيره !

* * *

جاءت هند ابنة عم زوجي وهي صديقة مخلصة فقالت لي :
ــ سهير لقد جئتك مؤنبة ، لماذا تتركين رشاد يذهب الى خالته كل يوم ، وانت تعلمين مبلغ حقدها ، وشدة اغراء ابنتها ؟
قلت بدهشة :
ــ أويذهب اليها كل يوم ؟
قالت : نعم كل يوم تقريبا .
لم اجب ولم ادر بماذا اجيب . وقفت مذهولة جامدة في مكاني ، سمعت هند تقول باعتذار : عفوا يا سهير لم اقصد ازعاجك ، وما غايتي الا فتح عينيك على الحقيقة . ثم اردفت تقول :
ــ لماذ لا تذهبين الى طبيب مختص لعل الله يرزقك بطفل ؟ !
أجبت بيأس :
ــ ذهبت الى طبيبين وقررا استحالة حملي الا اذا اجريت لي عملية قد تكلفني حياتي .
ــ اسمعي يا سهير لقد سمعت بطبيب بارع جدا في الامراض النسائية وقد حضر منذ اسابيع من اميركا ، لماذا لا تذهبين اليه ؟
ــ واين مكانه ؟
ــ اذا اردت ذهبت معك .
ــ شكرا لك وارجو ان تحضري غدا لنذهب اليه . ثم ودعتني وانصرفت .
نظرت الى صورة رشاد فحملتها واخذت اعاتبها كالمجنونة : رشاد اين حبك ؟ أين اخلاصك يا حبيبي ، اني لا اصدق ابدا ان تحب ابنة خالتك هذه ، واطلقت لدموعي العنان واحسست بشعور غريب نحو رشاد ، انه مزيج من الحب والحقد والغيرة .
اسودت الدنيا في عيني ، لقد رأيت رشاد يتأنق في ملبسه ، فنظرت اليه وقلت بغضب :
ــ ما هذه الاناقة « يا بيك » والى اين انت ذاهب ؟ الى خالتك طبعا فابنتها المصونة بانتظارك على نار !
قال بشيء من الجفاء :
ــ نعم فأنا مدعو اليوم للعشاء عندهم .
قلت دون أن استطيع كتم ثورتي :
ــ هل غاب عن ذاكرة خالتك انك متزوج ونسيت ان تدعو زوجتك ؟ لن أدعك تذهب ابدا ، اني اعلم ما يحاك ضدي من مؤامرات واعلم من هي خالتك !
قال بغضب :
ــ سهير اني لا اسمح لك بأن تتكلمي عنها بهذه اللهجة ، لقد اصبحت الحياة معك لا تطاق ، انك دائمة الشجار والبكاء ، تشكين بكل لفتة وكلمة ، ما هذا ؟ لقد سئمت الحياة معك ، وخرج صافقا الباب خلفه .
لم انم الليل اني عاجزة عن وصف شعوري ، شعور المراة التي تعبد زوجها وتراه ينصرف عنها الى اخرى ، يا الهي ما هذا العذاب ؟ اني أموت في كل يوم بل في كل ساعة ،

اغرودة

وحيدين ، هيا نرود الوجود | كطيرين في غمرة شاعره
ونروي حكاياتنا الظامئات | على غيمة ثرّة ماطره
وحيدين ننهب درب الغرام | ونكسر أبعاده الجائره
يضيء وجهينا بريق النجوم | فنغفوا على فكرة ساحره
تهدهدنا احلامنا الغاليات | وانشودة الامل الظافره
وتسري مع الريح آهاتنا | فتنشى مواعيدنا الزاهره
.. ولكن.. شبابي جم الجراح | وايماءة الالم الثائره !

* * *

تعالي .. فأنت نعيم الحياة | واغرودة الغزل الطاهره
فما الشعر الا هواك العجيب | وما الكون الا منى سافره
خلقتك بالوهم .. يا للفتون | يموج بأفكاري الحائره
فكنت الخلود ، وكنت العذاب | وكنت ابتسامك .. يا ماكره ؟

دمشق — اسماعيل عامود

لماذا لا اجري العملية ؟

انها خطرا على حياتي ؟ ولكن هل بقيت لي حياة ؟ لأمت فالموت احب الى نفسي من ان ارى رشاد يتزوج غيري . سأجري العملية ، سأضحي بحياتي من اجل رشاد .

ذهبنا الى الطبيب وبعد فحص دقيق جاءت مطالعته مطابقة لمطالعة الاطباء الاخرين .

لن انجب الا بعد اجراء عملية خطرة نجاحها لا يتجاوز خمسة بالمئة . قلت للطبيب :

ــ اني مستعدة لاجرائها .

فقال لي: ولكن ليس على مسؤوليتي انها خطرة . اكدت له اني مصممة على اجرائها ولن احمله اية مسؤولية.

انتظرت عودة رشاد بفارغ صبر ولما عاد اخبرته بما حدث فنظر الي بدهشة واستنكار وقال لي :

ــ امجنونة انت ؟

ان هذا أنتحار لن اوافق ابدا على اجرائها .

ــ ولكني مصممة على ذلك والا انتحرت .

حاول رشاد المستحيل لكي يثنيني عن عزمي ولكنه فشل ولم يجد مناصا من الموافقة ، امام تهديدي له بالانتحار .

حدد موعد اجراء العملية . غدا سأذهب الى المستشفى ، ولا اعلم هل اخرج منه حية ام جثة هامدة ؟ هل تكتب لي السلامة واصبح أما ؟ لا اظن فأملي ضئيل وضعيف جدا ، ولكن لا بأس بذلك فالموت اهون على نفسي من ان ارى رشاد متزوجا غيري . كم احبه انه نائم الان ولا اعلم لماذا امعن النظر في وجهه ... في عينيه ... في فمه المطبق على ابتسامة خفيفة جميلة . اني اشعر بالدموع تترقرق في عيني ، فربما تكون هذه الليلة آخر عهدي بالدنيا . انحنيت قليلا وقبلت جبين رشاد ، فشعر بي ، ونهض وهو يفرك عينيه من أثر النوم ، وقال لي بحب وحنان:

ــ سهير ما بك يا حبيبتي ؟ لماذا انت ساهرة الى الان ؟

أانت خائفة من اجراء العملية ؟

لا تخافي يا حبيبتي لقد طمأنني الطبيب اليوم واملي كبير بنجاح العملية وبسلامتك نامي يا حبيبتي . وقبلني ثم اسبل الغطاء علي وعاد الى نومه وعدت الى افكاري ! ...

دمشق — سلمى لحام العطري


محمد رجب البيومي

نظام الملك الطوسي وزير تربوي

بقلم محمد رجب البيومي

***

اكتملت في الوزير نظام الملك الطوسي مواهب عديدة ، فهو اولا ، عالم بارع تفقه في الشريعة الاسلامية، والحديث النبوي ، ودرس اللغة والادب ، ولم يكن اطلاعه محدودا يقتصر على المطارحة والمشاركة ، بل عمد الى اللباب الدسم من مختلف العلوم فاكتنه سره ، وكشف غامضه ، وحسبك انه تصدر للتدريس في حلقاته العامرة ، فنوقش وجودل، واظهره الحوار على حقيقته عالما اصيلا يحمل برهانه ، ويملك اقناع معارضيه ، وهو — ثانيا — اداري حازم نظم شئون الملك ، وجهز الجيوش الغازية ، ورسم الخطط الموفقة ، واعد المؤن والذخائر ، وجعل لسلطانه هيبة مرهوبة ، فأمره نافذ مسموع ، واعداؤه ينكمشون ويتضاءلون مشفقين من صرامته وسعة حيلته ، مع ما لديه من عناد صاعق ، وبأس رهيب ، وهو — ثالثا — مصلح كبير قضى على الاختلافات المذهبية بين الطوائف الاسلامية ، واكثر من المدارس النظامية ، ودعا الى الوحدة المتماسكة بين المسلمين في عصر تنوعت فيه الفرق ، وتعددت الخلافة من عباسية وعبيدية واندلسية!! وبجهوده الممتازة رجعت للدين مكانته في القلوب ، وللسلطان هيبته في النفوس !!

كان ابو الحسن بن اسحاق بن العباس الطوسي من ابناء الدهاقين ، وقد توفيت امه وهو رضيع ، فلاقى والده مشقة في تربيته وحضانته اذ كان يطوف به على المرضعات، ويسهر طيلة ليله في قضاء حوائجه ، وما ان شب عن الطوق حتى دفع به الى معلم مخلص يثقفه ويهذبه ، فحفظ القرآن الكريم ، وتفقه في الحديث الشريف ، وشارك في علوم عصره ، وكانت المعرفة لعهده مختلفة الينابيع متنوعة الجداول ، فأخذ من كل فن بطرف ، واخلص اخلاصا حميدا في التحصيل حتى تألق نجمه ، وذاع صيته ، فاتصل بخدمة علي بن شاذان ، واظهر لديه كفاية تامة وخبرة واعية وخلقا كريما ، فقدمه الى الملك السلجوقي الب ارسلان ، ولم يلبث ان صار صاحبه الاثير ، فتسنم الوزارة ، وبلغ بها مرتبة سامية اتاحت له ان ينفذ آراءه الاصلاحية ، ويقوم بمجهود ممتاز في شتى الميادين .

كانت عصامية نظام الملك مفتاح تفوقه ونبوغه فقد قرا تواريخ الوزراء وذوي المكانات المرموقة في الدونة الاسلامية ، فوجد الخطوة السابقة قد واتتهم عن طريق الدرس والتحصيل ، فأكب على العلم يقتطف ثماره اليوانع ، ولم يحصر افقه في فرع خاص منه يتفرغ الى التعمق في مسائله والتبحر في اصوله ، حتى يصبح استاذه الملحوظ ، ولكنه جعل من اطلاعاته المتنوعة نبراسا يهديه الى حل مشكلات عصره ، وتفهم حوادث زمنه ، ومعالجة ما قد يعضل من الادواء ، ومن هنا ربط علمه بالحياة ربطا ساعد على فهمها ودراسة مجتمعها ، وعناصر التأثير فيها ، وتكوين صورة خاصة لكل عظيم يتصدر ناحية من نواحيها الكثيرة ، وكانت اخلاق الرجل سلما اخر لمجده ، فبها تدرج في معارج الرقي ، وانجذبت اليه الافئدة والاهواء ، وقد ورث عن عائلته صوفية شفافة ، فمال الى الفقراء ، وصاحب اهل الزهد والورع ، ونأى في وزارته عن الترف والملاذ ، ووجد في مطارحة العقول ومجالسة الفحول لذائذ مغرية ، فحرص على التبصر والتأمل ، وابدى رايه فيما يسمع ويقرأ ، ولذلك عمر مجلسه بائمة العلم وصدور الشريعة من أعلام الاسلام ، وكان يبدي من تعظيمهم وتجيلهم ما يدفعهم الى زيارته والتردد عليه ، بل انه كان يزن كل عالم بميزان دقيق ، فيعرف له مكانه الذي يجب ان يوضع فيه .

كان مجلس الوزير دائرة ثقافية متنوعة الافانين ، وحسبك أن تعلم ان امام الحرمين ابا المعالي الجويني ، وأبا القاسم القشيري ، وحجة الاسلام الغزالي ، وعبد السلام القزويني ، وأبا علي القارمذي ، وغيرهم من ائمة الفضل ، كانوا شموس مجالسه وبدور آفاقه ، وكانت صوفيته السليمة النبيلة تدفعه الى المفاضلة بينهم على اساس من الورع والتقوى ، فهو يستشف اسرار النفوس، ويصل الى الاغوار الكامنة من معادن الناس ونياتهم ،

فليست سعة العلم وحدها أساس المفاضلة في رأيه، ولكنه يجمع اليها ما توحي به الدلائل المختلفة من عظمة الخلق وقوة الاخلاص، وكأني به وقد ادرك ان العلم لا يبلغ قمته العالية الا اذا امتزج بدماء صاحبه، فأورثه ترفعا كريما عن الرغبات الزائلة، وتساميا رفيعا عن مجاملة الناس ومحاسنتهم لعلة ذاتية او نفع مادي، قال بعض جلسائه: كان نظام الملك اذا دخل عليه امام الحرمين وابو القاسم يقوم لهما ولا يفارق مكانه، واذا دخل عليه واعظ خراسان ابو علي الفارمذي قام اليه، واجلسه مكانه. وقعد بين يديه، فسألناه عن مبالغته في الاحتفاء بالواعظ وحده احتفاء لم ينله سواه، فقال: ان الجويني والقشيري وامثالهما اذا دخلوا عليَّ يقولون لي: انت كذا وكذا، ويبالغون في الثناء بما يبطرني من المديح، اما ابو علي فيذكر لي عيوب نفسي، وما اقع فيه من الظلم فانكسر واتراجع واستشعر الهيبة والخشوع!

فهذا الرجل الذي يهمل الثناء، ويحتشد للنقد، ويكترث لصاحبه، انسان عميق الادراك، واسع النظرة، ولا ريب انه جاهد نفسه جهادا شاقا حتى سما بها فوق النزوات الانانية التي تتعشق الاطراء العريض. وذلك وحده فضل عجيب يقترن بالحب والاجلال!!

ونحن — قد عرفنا حقيقة نظام الملك — لا نعجب اذا وجدناه يحمل بين جنبيه قلبا رقيقا، فيأتي من الاعمال ما ينبيء عن رحمة وحنان، كان يأكل ذات يوم على مائدته، ومعه لفيف من اعيان الدولة، وجماعة من الفقراء والمعوزين — كدابه في الجمع بين الطائفتين — فشاهد والي خراسان يجلس جوار فقير مقطوع اليد، والوالي متأفف من جواره ضائق بمكانه، فقام النظام من فوره وجلس جوار الفقير يحادثه ويمد يده في طبقه! وبذلك القى على الوالي المتعاظم درسا في المروءة يفوق كل زجر وتأنيب!!

وكانت حوادث عصره وملابسات زمنه تساعده على اداء رسالته في السياسة والتعليم، فقد تسنم الوزارة في خلافة المقتدي بالله العباسي، وسلطنة ألب ارسلان وملكشاه السلجوقيين، والخليفة العباسي والسلطان السلجوقي معا يهدفان الى الخير، ويساعدان على الاصلاح، فاذا نهض الوزير آنئذ بسياسته الاصلاحية لم ير معارضا يقف في طريقه، وبذلك يسير في نهج سهل تلاشت عقباته، وتجافت عنه العراقيل!

كان المقتدي بالله خليفة قوي النفس عظيم الهمة، اصلح كثيرا من الاحوال الاجتماعية ببغداد، فحطم دور الفساد، وطرد المغنيات، ومنع الملاحين ان يحملوا الرجال مع النساء، واستأصل الابراج العالية كيلا تكون مباءة لكشف الاسرار، والاطلاع على المحصنات في الخدور، ولذلك صادفت اصلاحات نظام الملك ارتياحا من نفسه، فخلع عليه خلعة سنية! وقدر الوزير الكفء تقديرا كان مدعاة العمل والنشاط، وكذلك كان سلطانه السلجوقي ألب ارسلان — فيما يقول ابن الاثير — نبيلا عالي الهمة، بارا بالرعية، صديقا للفقراء والمعوزين، وقد ورث عنه ابنه ملكشاه من بعده ما يزينه من النبل والشجاعة والهمة والطموح، ونظام الملك وزيرهما المختار يتصرف في الامور كما يشاء، وقد تعاون معهما تعاونا صادقا في الغزو الاسلامي المظفر، فقد اغار الروم على املاك الدولة العباسية، وافزعوا المسلمين بما فعلوا من اجرام ونهب. ثم زحفوا على آسيا الصغرى، وامتدت اطماعهم الى بغداد، وبعث ملك الروم الى السلطان رسالة تنبيء عن الاستخفاف به، فأخذ الاهبة الشديدة، وسار بجنوده الى لقائه، ونظام الملك من خلفه يرسم الخطة، ويعد الذخيرة، وقد قسم السلطان جيشه الى اربع فرق، تقدم باحداهن وترك ما بقي كمينا اطبق من الخلف والجانبين، فوقعت الهزيمة الماحقة بالروم، وتركوا مغانم كثيرة من مال وذخائر، ورجعت للاسلام مكانته الشماء.

وبادارة نظام الملك وحسن تدبيره الحصيف، اتسع نفوذ ملك شاه، فخطب له من حدود الصين شرقا، الى اخر بلاد الشام غربا، وعم البلاد الرخاء، فشقت القنوات، ونشطت الزراعة والتجارة، وقد سار «ملكشاه» بجنوده حتى بلغ حدود القسطنطينية، وقرر الف دينار على ملوكها، ووضع في الجهات التي فتحها من بلاد الروم خمسين منبرا اسلاميا!! وجلجل الاذان الاسلامي في الآفاق يحمل الرسالة المحمدية، ويدوي بعظمة الاسلام!!

لم يكن هذا النصر ليتاح في عهد وزير خامل يفكر في نزواته واهوائه، ولكن قوة نظام الملك الخارقة، قد جعلت من الدولة السلجوقية دولة مغاز وفتوح، ولن يتم لدولة عظمة بغير ذخيرتها الحربية، وقوتها المجاهدة، وهذا ما فطن اليه الوزير العظيم، فأعد الجيش القوي، وهيأ السلاح الماحق، وكسب النصر الوضاء ولو تأخر عهد الوزير العظيم حتى ظهرت قوات التتار المتوحشة لالقى عليها بشكيمته الخارقة درسا قاسيا، ولما استطاعت ان تمزق الدولة السلجوقية، تمزيقا تفتت له الاكباد!! ولكن القدر الذي شاء لنظام الملك ان يمثل دوره قبل اندلاع هذه النار المشتعلة!! قد هيأ للتتار ظروفا مواتية، ادوا بها رسالتهم المروعة في الاستئصال والتدمير!! ولو سلك الخلف سبيل السلف ما استشرى الخطب وطم الفساد!!

هذا في ميدان الحروب!! اما في ميدان الثقافة فقد راى النظام ما يغمر العامة من جهل بقواعد الدين، وحز في نفسه ان يتلاعب بعض الناس من ذوي الاطماع السياسية بعقائد باطلة ينسبونها الى الاسلام، ويدفعون العامة اليها ليتخذوا منهم قوة مظاهرة تساعدهم على الاستقرار السياسي!! حز ذلك في نفس الوزير فأنشأ المدارس المتعددة في العراق وايران وافغانستان، وقد حشد لها ائمة الفقه واعلام الشريعة، فكان من اساتذتها

امام الشافعية ابو اسحق الشيرازي ، وحجة الاسلام الغزالي ، وابو نصر بن الصباغ ، وابو بكر الشاسي ، وعرفت فيما بعد بالمدارس النظامية ، وكان للطلبة بيوت يأوون اليها ، وخزائن واقية تحفظ ملابسهم وكتبهم ورواتب تجري عليهم كيلا يقطعهم طلب الرزق عن التحصيل !! وقد اباح للجمهور أن يسهم مع الطلاب في النقاش والاستماع واخذت اضواء المعارف تشع وتتكاثر !! حتى نشأ جيل جديد ممتاز يدرس الشريعة الصافية ويرد الى الاسلام في منابعه النقية ، ومهما يكن من شيء فقد كانت هذه المدارس المباركة اساسا للنهضة العلمية التي ازدهرت في القرن الخامس الهجري وما وليه من قرون ، واليها يرجع الفضل في القضاء على البدع والخرافات التي عششت في العقول المظلمة ، ورجعت على الاسلام بأوخم العواقب!! وقد القى فيها نظام الملك بنفسه بعض الدروس في الحديث والتفسير ، ولم يدع لنفسه رسوخا في العلم وتمكنا في الرواية بل تواضع فقال : انه لم يبلغ درجة العلماء والمحدثين !! ولكنه يرغب في ان يحسب في عداد رواة الحديث ، لينال بذلك تشريفا عند الله والناس .

وقد كان اكثاره من المدارس النظامية مدعاة لخطأ وقع فيه الحافظ الذهبي حين قرر ان نظام الملك اول من انشأ المدارس في الاسلام !! وقد تدارك العلامتان السبكي والسيوطي هذا الخطأ فذكرا ان المدارس الخاصة بالتعليم قد انشئت في الاسلام قبل ان يولد نظام الملك بعشرات الاعوام كالمدرسة البيهقية بنيسابور وغيرها . ولكن النظام اكثر من المدارس اكثارا حميدا ، وكان — وحده — اول من اجرى بها المعاليم للطلاب والمدرسين ومع هذا التصحيح المقنع فقد تلقف بعض المغرضين رواية الذهبي وتبعه جمع من المستشرقين يعز عليهم ان يسبق تاريخ الاسلام في انشاء المدارس ، فهم يرجعون بها دائما في ابحاثهم المختلطة عن التربية الاسلامية الى نظام الملك الطوسي ، عن هوى واضح ، وغرض مريب !!

كانت المدارس النظامية تدعو دعوة صريحة الى القضاء على الخلاف بين اصحاب الدين الواحد ، فقد كان بعض المعتزلة والاشاعرة والرافضة يحتزبون في حومة خاسرة ، وكل فريق يكيل للآخر تهما تصل الى الكفر والمروق ، كما ان بعض رجال الفقه من شافعية واحناف وحنابلة ومالكية وشيعة قد طاف بهم طائف التعصب ، فأصبح الفقيه المتعصب يبحث عن أوجه الخلاف البعيدة ، فاذا قرأ فتوى لزميل يخالف مذهبه بذل جهده في تزييفها ، حتى لتتعدد الفتوى الواحدة بتعدد الفقهاء ، وهناك — مع ذلك كله — جماعة المتصوفة الذين يقفون مع الفقهاء في عراك ترجع خسارته الى الدين ، وتلك ويلات اثيمة ارقت نظام الملك ، فعمل على تبديدها باثارة العقول واضاءة الاذهان ، فصافى اهل الانصاف من كل الفرق ، وصاحب المخلصين من رجالها وحشدهم في مجالسه ، ودعاهم الى الوحدة لصيانة الاسلام في عصر يتجمع فيه الفرنج ويتحرشون بالمسلمين ، وقد تنازع ساسة الاسلام وتعددت مذاهبهم المغرضة ، فلا اقل من ان يتحد العلماء فيرأبوا صدعا واسعا يوشك ان يعصف بالبناء ، قال عبد السلام بن يوسف القزويني شيخ المعتزلة في عصره ، دخلت على الوزير الخطير نظام الملك ، وكان عنده ابو محمد التميمي ، وعالم اشعري ، فقلت له : يأيها الصدر ، لقد اجتمع عندك رءوس اهل النار ، فقال النظام : وكيف ؟ فقلت انا معتزلي ، والتميمي مشبه ، وذاك اشعري وبعضنا يكفر بعضا ، فضحك النظام ، واذا كان القزويني قد ساق حديثه مساق الفكاهة ، فهو بلا شك ينبيء عن حقيقة اليمة تضطرم لها الصدور ، اذ يصور ما تنفجر به مجالس العلم من قذائف ملتهبة تتناثر شظاياها المحرقة في الوطن الاسلامي ، فتصيبه بالتصدع والانهيار ، ولولا ما بذله النظام من الجهود في سبيل الوحدة المخلصة باقامة المدارس للعلم

الدروب شوهاء الخطى

مطر ضاع .. تماثيله في جمجمتي ريح بلا شكل ولون !
مطر ضاع .. سؤال يولد الافق ! فامتد على الدرب اغني
مطر ضاع .. وخلي حفرات والهات المد في اعماق ظني !

* * *

انا انساه ؟ وانساه انا ؟ كيف ؟ وفيه من غموضي روح عدني !
للمتني كفه الزهر المغني من تلال النار .. في ابعاد لحني !
آه بالضاع ... وقفل عبقري يصفر الباب باذني وبعيني
فدروبي الملء .. شوهاء خطاها : عنقدتني في المدى اسوار ظني !!

حلب — علي الزيبق

الاسلامي الحق لتفاقم الشر وامتد اللهيب في كل مكان .

وقد زار النظام بغداد ـ عاصمة الخلافة ـ فأراد ان يضرب المثل بنفسه في الدعوة الى الوحدة الدينية ، ونبذ الخلاف المذهبي ، فزار مشهد الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق ودعا له بالخير ، واتبعه بزيارة قبري الامامين ابي حنيفة وابن حنبل ودعا لهما ، ثم زار قبر معروف الكرخي ، وهو من ائمة التصوف ، ودخل المدرسة النظامية وسمع الناس منه قسطا من الحديث ، واملى قسطا اخر . وقد خطا الرجل خطوة ثانية في سبيل الوحدة المرموقة ، فأبطل لعن الرافضة والاشاعرة من فوق المنابر ، وقد كان الوزير عميد الدين السكندري قد حسن للسلطان طغرلبك لعن الرافضة فأمره بذلك فاضاف اليه لعن الاشاعرة !! وراى نظام الملك في ذلك فحشا بالغا فأبطله مقتديا بعمر بن عبد العزيز ومن سار على طريقته من اعلام السنة المعتدلين ، وبهذه الاعمال الجليلة ساعد النظام مساعدة فعالة على تقريب وجهات النظر ، وسار في طريق الوحدة الدينية سيرا حميدا ، اذ اطفأ الاحقاد واثلج الصدور ، وقد كان المذهب الشافعي يدرس وحده بالمدارس النظامية لكثرة من بها من فقهاء الشافعية ، وليس في هذا تعصب لمذهب خاص ، ولكن اجتماع الطلاب على مذهب معين ادعى الى سد ابواب الخلاف في عصر تفاقمت فيه حدة الجدل المذهبي ، بدليل ان الوزير العالم قد بنى ضريحا للامام ابي حنيفة ، واقام مدرسة خاصة لتدريس مذهبه الجليل ، فلو ان مذهب الشافعي قد قصد لذاته دون تقدير لغيره ، ما انشأ النظام مدرسة حنفية ، ولكن الجو الذي سمح للخلاف السياسي ان يتسربل بالمذهب الديني قد دعا الى سلوك منهج واحد لتلاميذ مخلصين يؤمل فيهم ان يكونوا رسل الوحدة الدينية عن قريب .

وقد قدر للرجل ان يلقى مصرعه شهيدا على يد احد الاسماعيليين بتحريض الحسن بن الصباح ، اذ كان هؤلاء يدعون الى الانتفاض على الدولة العباسية ، وقد انتشروا في هضاب فارس انتشارا ذريعا يعصف بالاستقرار ، ولقيت دعوتهم آذانا صاغية في بلاد تألف المذهبية من قديم ، ورآها الحسن بن الصباح حقلا خصيبا يجنى به آماله ورغائبه ، ومع ان الحسن كان زميل النظام في دراسته التعليمية بطوس ، ومع ما بذله النظام له من مساعدة كبيرة حين قدم عليه في وزارته يلتمس المعونة !! ومع الصداقة التي كانت بينه وبين صهر نظام الملك حاكم قلعة « الموت » وانتفاع الحسن بها انتفاعا وجهه وجهة شخصية مريبة ! مع ذلك كله فقد دبت عقاربه نحو الوزير، وعزم على ان يغتاله خفية اذ كانت عين النظام بصيرة تراقب ما يقوم به صاحبه من التدمير والفتنة ، وقد عزم على قص اجنحته وانهيار طغيانه عزما لا يقبل المفاوضة والتراجع ، ولكن القدر قد سبقه في طعنة ماكرة من يد ديلمي سخره الحسن لتنفيذ رغبته الجانية وقد سلط عليه اشعته الاخاذة فجذبه الى الجريمة منقادا لتأثيره السحري الرهيب !

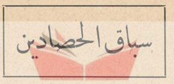
هذا هو سر الاغتيال الآثم كما سجلته الروايات الصحيحة ، وكما يتفق ومنطق الحوادث المتتابعة ، ولن نلتفت الى ما رواه ابن الاثير في الكامل ونقله عنه الاستاذ محمد الخضري بك من ان مصرع الوزير كان بتحريض ملكشاه وتدبيره ، اذ راى وزيره يقبض على ناصية الامر بيده ، ويستطيل عليه ، فيقول في معرض الاجابة عن تهديد صدر اليه من السلطان : ان دواتي مقترنة بتاجك فمتى رفعتها رفع ، ومتى سلبتها سلب !! لن نلتفت الى ذلك ، لان نظام الملك كان في حياته السياسية ناعم الملمس حصيف التدبير ، ومن كانت له حنكته البالغة ، وتعمقه النافذ ، وحلمه الواسع ، لا يجيب هذه الاجابة الرعناء !! تلك التي لا تصدر الا من شاب مغرور لم تعركه حوادث الدهر وتصقله تجارب الايام ، بل ان أسلوب النظام الهادىء اللين كان يقتلع الجبال بقوته ، فكيف ينقلب الرزين الحصيف في شبابه الى ارعن احمق في شيخوخته ! وقد استفاد من عمره الطويل ما شد ازره ، وامتد بآفاقه !! وان من يقرا كتابه العظيم « سياسة نامه » يجد من الخبرات والمعارف ، ويطالع من الحيل والتدبير ، ما يدل على مرونة سهلة ، ولباقة اريبة ، ومؤلف الكتاب ـ بعد ـ سياسي من اليق طراز ، وقد اتيح له ان يكتب في أصول السياسة ، كما يمثل ادوارها المتناقضة ، ليجمع بين التجربة العملية والاصول النظرية في آن واحد !! ونحن لا ندري انعجب بالكاتب السياسي أم بالوزير السياسي !! على ان التوفيق بعد القول والعمل امر يتعسر في اكثر الاحيان ، ولكن كان ذلولا سمحا عند النظام ، فقضى حياته مبارك الغدوات مأمون العثار !!

ومهما يكن من شيء فقد فقد التاريخ بمصرعه بطلا جاد العزيمة ، قوي الايمان ، يستشعر خشية الله دون سواه ، وكان اذا سمع الاذان امسك عما هو فيه ، ولا يبدأ بشيء قبل الصلاة ، ومع ما كان فيه من الجاه المديد والنفوذ الطائل فقد كان يذكر الآخرة دائما ، ويستعين على تحقيق آماله بالعبادة والتقرب الى الله .

يقول نظام الملك : « كنت في مطلع حياتي اتمنى ان تكون لي قرية ، ومسجد اعبد الله فيه ، ثم تمنيت ان تكون لي قطعة ارض انتفع بريعها ومسجد اعبد الله فيه ، ثم تمنيت ان يكون لي رغيف كل يوم ومسجد اعبد الله فيه » وهكذا تتضاءل آماله من قرية الى قطعة ارض الى رغيف ، ويجنح الى التصوف في احدى فترات شبابه ، ثم تنبث همته العالية فيقدر رسالة المسلم في الحياة ، ويعلم انها رسالة البعث والقوة والانقاذ ، واذ ذاك يخطو خطواته الثابتة في دنيا المجد فيصبح وزير دولة ، ورجل عقيدة ، وبطل تاريخ .

محمد رجب البيومي

الفيوم ـ ج٠ع٠م٠



الكاتب الايرلندي ليام اوفلاهرتي

ترجمة سليمان موسى

عندما بزغت الشمس كان الحصادون قد وصلوا الى حقل الحنطة . الحقل الواسع القائم الزوايا الذي يملكه المهندس المتقاعد جيمس مكدارا . كان الحقل يبدأ من راس تل بانحدار طفيف حتى طريق البحر المغطاة بالرمال وكان يحيط بالحقل سياج واطيء من الحجارة تتمايل فوقه السنابل الصفراء على اعوادها الرفيعة كلما هزت اعطافها نسمات الصباح .

اما مكدارا نفسه وهو شيخ اشيب الشعر يرتدي سراويل رمادية ، فقد كان يقف على طريق البحر خارج السياج ، وهو يلوح بعصاه ويتحدث الى عدد من الاشخاص الذين كانوا قد تجمعوا في تلك الساعة المبكرة . كان وجهه الاحمر مسرحا لانفعالاته وهو يلوح بعصاه ذات العقد ويخاطب الرجال الواقفين حوله بصوت مرتفع قائلا :

لقد قسمته الى ثلاث حصص متساوية اقسم بشرفي انه لا يوجد فرق قيراط واحد بين اية قطعة واختها . الا ترون ؟ لقد وضعت علامات فاصلة على طول الحقل حتى لا يقع احدهم في خطأ . تعالوا وانظروا .

ثم سار في طليعة الرجال من طرف الحقل الى طرفه الاخر ، وبيّن لهم كيف قسّمه الى ثلاث حصص متساوية ، وكيف وضع علامات متصلة بين كل قطعة واخرى . وبعد ان انتهى الشيخ من جولته صرخ مهتاجا كانه ولد من اولاد المدارس :

ــ عندما اطلق عيارا من مسدسي فانهم سيبداون معا وسيحصل الاول على خمس جنيهات . واوما الفلاحون برؤوسهم ورمقوا مكدارا الشيخ بنظرات جدية رغم ان كل واحد منهم قال في نفسه ان الشيخ لا بد ان يكون قد اصيب بلوثة حتى يدفع خمسة جنيهات لحصاد حقل يمكن حصاده بجنيهين اثنين .

على ان الفلاحين لم يكونوا اقل انفعالا من مكدارا لان افضل ثلاثة حصادين في جزيرة انفيرارا كلها كانوا قد دخلوا في الرهان . وفي تلك الساعة كان ثلاثتهم يقفون على راس التل عند طرف الحقل العلوي وهم على اتم استعداد لبدء المسابقة . وكانت ترافق كل واحد منهم زوجته كي تربط (الغمور) عند قطعها وتجلب لزوجها الطعام والشراب .

كان الحصادون قد اقترعوا على القطع الثلاث . وها هم الان يقف كل واحد منهم على راس قطاعه بانتظار الاشارة ومع ان حرارة الشمس لم تكن قد بعثت الدفء في الاجسام بعد ، وبرغم برودة النسمات القادمة من البحر ــ فان الرجال الثلاثة كانوا قد تخففوا في ملابسهم العلوية حتى لم يبق عليهم سوى القمصان وهذه القمصان كانت مفتوحة عند الصدر واكمامها مطوية الى ما فوق الكوع . وكان يحيط بخصر كل واحد منهم حزام من الصوف الملون . اما سراويلهم فقد كانت بيضاء ترتفع فوق اطرافها جوارب مزركشة . ولم تكن على رؤوسهم قبعات . اما النساء فكن يرتدين تنانير حمراء ويربطن رؤوسهن شالات خفيفة .

كان ميشيل جيل وزوجته سوزان يقفان الى اليسار . وميشيل هذا



رجل فارع الطول مشدود العضلات ، له شعر اشقر يغطي جبهته ، وانف اقنى ، وفكان نحيفان اما عيناه الصغيرتان الزرقاوان فقد كانتا عالقتين بالارض تكاد رموشهما تلامس عظام خديه . ووقف وقفة صارمة ومنجله بيده اليمنى وقد وضع كف يده اليسرى داخل حزامه . وكان بين كل فينة واخرى يرفع اهداب عينيه مترقبا اشارة البدء . اما زوجته فقد كانت مثله طويلة القامة ولكنها كانت ممتلئة الجسم ذات خدين ورديتين . وكانت امراة سكوتا تنصرف افكارها في تلك اللحظة الى طفلها الذي تركته في رعاية امها .

اما في الوسط فقد وقف جوني بودكن وقد شبك يديه وسط ساقية واخذ يتحدث مع زوجته في صوت منخفض جاد . كان رجلا ضخم الجثة عبلا ، غليظ الرقبة ، له شعر اسود كشف الصلع مقدمة راسه وفي تلك اللحظة كان عابس الوجه عاقد الحاجبين . اما زوجته ماري فقد كانت قصيرة القامة على شيء من النحول وشحوب الوجه ، تبرز اسنانها العلوية قليلا فوق شفتها السفلى .

ووقف الى اليمين بات كونسلداين وزوجته كيتي ، وكيتي هذه امراة طويلة ذات جسم ممتلىء حنطية اللون ، يغطي وجهها الكلف وينمو على ظاهر شفتها العليا شارب واضح المعالم . وكان لكيتي شعر كث مجعد بلون الرمال لا تنفك خصلاته تنفلت . وفي تلك اللحظة كانت تحدث زوجها بصوت رجالي خشن حافل بالدعابات المرحة . على ان زوجها كان على العكس منها رجلا صغير الجسم نحيفا، بدات التجعدات تظهر على وجهه رغم انه ما زال دون الاربعين . اما وجهه فقد كان شاحبا ومعظم اسنانه الامامية ضائعة وكان واقفا بارتخاء يبتسم باتجاه مكدارا وقد اخفى جسمه الناحل قوته الحقيقية . وما لبث مكدارا ان لوح بعصاه . ورفع ساعده

فبلغ الاسماع صوت الطلقة . لقد بدأ سباق الحصاد . وبحركة واحدة ركع الرجال الثلاثة كل على ركبته اليمنى ، كانهم جنود الميدان يتمرنون على اصابة الاهداف . ومع تلك الحركة ذاتها امسكت كل من الايدي اليسرى بقبضة من اعواد الحنطة .

ودارت المناجل المستديرة في الهواء ، وعلا صوت خشخشة اشبه بما يحدث عندما تقضم الابقار الجائعة الحشائش الطويلة في فصل الربيع. ثم القيت على الاعشاب الندية ثلاثة اشمال من اعواد الحنطة ، القاها الحصادون الثلاثة خلف سيقانهم اليسرى . ووقفت النسوة الثلاث في صمت عصبي بانتظار الغمر الاول. انه سيكون البشر او النذير بالنصر او الهزيمة .

واخذ جوني بودكن ، وهو يشخر كالحصان الغاضب ، يلقي اشماله متتابعة متلاحقة . ورفع منجله في الفضاء وبصق عليه صارخا بصوت مرتفع : — الغمر الاول — وغاصت امرأته نحو الغمر بيديها الاثنتين ، وربطت الغمر ببضعة عيدان من الحنطة في سرعة مدهشة بينما كانت اصابع يديها الطوال تتحرك كانها ابر الخياطة . ولم يلق الحصادان الاخران بالا لهذا ، كما لم تتوقف زوجتاهما . كان كل واحد منهم قد قطع عمره الاول ، وركعت كل زوجة الى جانب غمر زوجها تسويه . وسرعان ما سبق بودكن زميليه الاخرين . كان يعمل باندفاع غاضب ، ويقطع اغماره دون ترتيب ، ولا يحصد قطاعه على خط سوي . على ان سرعته وقوته كانتا مدهشتين ، فقد كان المنجل ينداح في يده مطبقا على اعواد الحنطة ، وجسمه يندفع كجثة الفيل المهرول في الغابة ، تلاحقه زوجته ، تربط وتربط بسرعة ، وعلى وجهها امائر الجد والاهتمام .

وكان كونسداين الثاني بعد بودكن، وقد بدت منه قوة مدهشة فحركاته اشبه ما تكون في خفة الماعز ، وكلما اندفعت ذراعه الطويلة المعروقة لقطع الاعواد — كانت عضلات ظهره المنحني تشتد وتبرز كأنها شبكة من الاوتار . وكانت تنطلق منه كلما نقل ركبته اليمنى الى الامام — لهثة مكبوتة نصف منقطعة . اما زوجته فكانت تلاحقه والعرق يتصبب منها دون ان تنفك عن استعجاله ضاحكة بصوتها الفطري النابع من القلب .

اما ميشيل جيل وزوجته فقد كانا متخلفين . لقد بدا جيل عمله بطريقة رتيبة آلية ، ومضى يحصد قطاعه على هذا المنوال ، دون تبديل ودون ان يلقي نظرة واحدة على خصميه في الرهان . كانت يداه الرفيعتان الطويلتان تتحركان دون صخب ، فلم يكن يسمع سوى صوت خشخشة اسنان المنجل عند احتكاكها باعواد الحنطة الصفراء ، اما عيناه فقد كانتا دائما عالقتين بالزرع والمنجل ، حتى انه لم يكن يتطلع خلفه لرؤية الاشمال والغمور الملقاة على الارض . كانت كل حركة من حركاته تنم عن تفكير مسبق وهدوء وحسن اصابة ، حتى انفاسه كانت تخرج منتظمة من انفه كما يتنفس المرء في اغفاءة سعيدة . وكذلك كانت زوجته تعمل وراءه في لملمة الاشمال وربط الغمور بخفة ورشاقة .

وبدأ الناس رويدا رويدا يتجمعون لمراقبة الحصادين . وارتفعت الشمس الى كبد السماء ، واشتدت حرارة الجو ، وسكن الهواء فلم تعد الاعواد الذهبية تميل ، كما ران الصمت على السنابل البيضاء ، واخذت المساحة التي حصد زرعها تزداد وتتسع ، لا يلفت النظر فيها سوى غمور الحنطة ونبتات صغيرة من البرسيم الاخضر زرعها اصحاب الحقل مع الحنطة .

وبلغ بودكن منتصف قطاعه قبل الظهر بقليل . وكان هناك حجر يشير الى منتصف القطاع وعندما بلغ بودكن الحجر اخذه بيده ووقف صارخا : هذا برهان على ان جزيرة انفيرارا لم تنجب قط حصادا يفوق جوني بودكن . وهتف الجمهور الواقف عند السياج . ولكن كيتي كونسداين رفعت شمالا بيدها وصاحت مازحة : ما يزال النهار في اوله يا بودكن ذا العضلات الطويلة . وهنا تعالت الضحكات العريضة من افراد الجمهور ، وارغى بودكن ولكنه قصر عن الجواب لانه — لم يكن حاد الذكاء . على ان جيل وزوجته لم يكترثا لكل هذا ، ولم يرفع اي منهما عينه عن الحصاد. كانت زوجة بودكن اول من يجيء بوجبة الغداء . لقد جاءت باناء مليء بالشاي البارد وكعكة فرن كبيرة قطعت الى شرائح وغطيت بطبقة سميكة من الزبد ، وحملت معها كذلك اربع بيضات مسلوقة . لم يكن بودكن قد انجب اولادا لذلك كان في مقدوره ان يتزود بطعام افضل من طعام امثاله من الفلاحين. وطرح بودكن منجله جانبا وبشراهة اكل ثلاث بيضات وتحول الى شطائر الكعكة فأخذ يلتهمها ويشرب الشاي بسرعة تضارع سرعته في الحصاد. ولم تستغرق الوجبة سوى دقيقتين وثلاث ارباع الدقيقة ، اتى بودكن وزوجته خلالها على تلك الكمية الكبيرة من الطعام والشراب . لقد حرص الطبيب بدافع الفضول ، على حساب الوقت من موقفه عند طريق الساحل . ولم يكد بودكن يفرغ من طعامه حتى انقض لمزاولة الحصاد بضراوته المعهودة .

على ان كونسداين تمكن من بلوغ نقطة موازية للنقطة التي بدأ يزاول منها بودكن حصاده بعد وجبة الغداء. وبدلا من ان يتوقف كونسداين وزوجته عن العمل لتناول الطعام — فانهما تصرفا على الطريقة التقليدية السائدة هناك بين فلاحي انفيرارا في مراهنات من هذا النوع . لقد اخذت كيتي تطعم زوجها بيدها من شطائر كعكة شوفان ادمت بالزبد بينما كان هو يواصل عمله .

وبين الفينة والفينة كانت تناوله

اناء الشاي فيتمهل قليلا ليشرب منها . وهكذا بقي موازيا لبودكن عندما فرغ من وجبته . ودهش النظارة دهشة بالغة لما بدا من همة كونسداين حتى مضى بعضهم يقول انه سيكسب السباق .

لم يلق احد بالا لجيل وزوجته ، على انهما لم يتوقفا لتناول الطعام وبذلك اخذا يقتربان من قرنائهما . ورغم اتساع المسافة بين الطرفين الا ان جيل وزوجته كانا ما يزالان في اوج النشاط ، بينما ظهر اثر الاجهاد واضحا على بودكن خاصة بعد وجبته الثقيلة ، كما اتضح ان كونسداين بدا يستهلك احتياطي قواه . ثم بلغ جيل الحجر ، علامة المنتصف ، فالقى منجله على مهل وطلب الى زوجته ان تأتي بالطعام . وجاءت سوزان برغيف من خبز الشوفان المدهون بالزبد وبزجاجة من الحليب الطازج . وتناولا وجبتهما على مهل ونعما باستراحة قصيرة . واخذ بعض النظارة يسخرون منهما عندما راوهما يجلسان للراحة ، ولكنهما لم يعيرا سخرية الناس اهتماما . وطالت الاستراحة حوالي عشرين دقيقة ، نهضا بعدها لمواصلة عملهما . وارتفع هتاف هازىء من الجمهور وارتفع صوت شيخ يقول : « انني اشعر بالعار منك يا ميشيل » . ورد عليه ميشيل : « لا بأس يا ابي . ان السباق لم يبلغ نهايته بعد » . ثم بصق على يديه واختطف منجله مرة اخرى .

وعندئذ بلغت دهشة النظارة اقصاها ، لان جيل كر على الزرع بسرعة عظيمة . لقد كانت حركاته رتيبة كسابق عهدها ، ولكن سرعته تضاعفت تقريبا . وبدأ الناس يهتفون له . بل بدأ السراة منهم يتراهنون . لم تكن دهشة الناس بالغة حتى ذلك الحين لاعتقادهم الجازم ان بودكن سيكسب السباق حتما بسبب تقدمه على قرينته . على ان سبق بودكن اخذ يقابل الان بالتحدي . لقد كان يتقدم جيل مسافة لا باس بها ، ولكن الاعياء كان باديا عليه حتى اخذ يضرب الارض بمنجله احيانا ، ابتل جسمه بقطرات العرق ، ثم بدا يلتفت خلفه نحو جيل وقد هاجته هتافات الناس .

وقبيل الساعة الرابعة سقط كونسداين على حين غرة وقد غلبه الاعياء . ونقل الى طرف الحقل فاجتمع حوله جمهور وسقاه القسيس شرابا فانتعش ، وحاول ان يقوم ولكنه لم يستطع . وقالت زوجته غضبى : « ابق في مكانك . لقد انتهيت ، لسوف أواصل العمل وحدي » . ورفعت كمامها فوق زنديها الممتلئتين وعادت الى المنجل فأمسكت به وبدات تحصد باندفاع غاضب بعد ان اطلقت صرخة عالية . وقال مكدارا وهو يخبط الطبيب على كتفه . مرحى . مرحى . سأعطي المراة جائزة خاصة . هذا دليل على ان العنصر الايرلندي ما يزال ممتلئا بالحياة .

على ان الناس ركزوا اهتمامهم على الصراع القائم بين بودكن وجيل . لقد استشاط بودكن غضبا فبذل جهدا جبارا واخذ يحقق مزيدا من التقدم في قطاعه بينما يجول بجسمه الضخم من طرف الى طرف فتتهاوى الاعواد امام منجله ، وكلما اتم غمرات غاصت عليه زوجته وربطته باحكام . ورغم كل هذا ، فعندما توقف بودكن لحظة في الساعة الخامسة والقى نظرة وراءه الفى جيل يزحف برتابة مخيفة . وفجاة احس بمتاعب النهار كلها تحيط به وتتغلب عليه .

لقد شعر بظمأ شديد ، واستغاث بزوجته فجاءت له بوعاء طافح بالشاي . وبدأ يشرب وكلما شرب كمية من الشاي شعر بلهيب الظمأ يزداد . وصرخ اصدقاؤه محذرين ولكن الظمأ افقده تعقله فمضى يشرب دون ان يرتوي . وعلق نظره بطرف القطاع كان النصر قريبا جدا يكاد يكون في متناول يده واخذ يلوح بمنجله ويشرب . ثم بدات حواسه تتبلد . وشعر بالنعاس وغامت عيناه وارتبكت حركاته . ورأى طرف القطاع وهو ماض في حصاده . وبدأ يحدث نفسه : وبلغ طرف القطاع من احدى زاويتيه فلم يبق عليه الا ان يبلغ الزاوية الاخرى ثلاثة غمور ثم يصبح اول الحصادين في انفيرارا وخمس جنيهات . . .

ولكن في تلك اللحظة بالذات ، بلغت مسامعه هتافات مدوية ، وارتفعت اصوات في الفضاء : لقد كسب جيل . وعندئذ سقط بودكن على الارض وقد انطلقت منه آهة عميقة .

عمان سليمان موسى

تجربة

•

في غمرة من الياس العميق
في دوامة من الاحزان العاصفة
اراني مشدودا الى الوراء
بحبل الاشباح والرؤى المخيفة
وكل ما في الحياة
من ندب وعويل وبكاء
صار ياكل من وجودي
صار يقتله ويدميه

•

الياس اثقلني بصمته الرهيب
كبل رجلي بالمرة
وحينما اقف كي اسير
اسقط كل مرة
فتخدش وجهي
حصى الارض الصغيرة
ويسيل الدم مني
قطرات سوداء حالكة
فاجلس لاستريح
لكن . .
فوق رأسي عرس
من الياس العميق

ادريس علال الخوري
الدار البيضاء

عتاب ولوم

سوف لا اكتب في الفجر رسالة
سوف لا اكتب عن سهدي مقالة
سوف اقسو
مثلما تلذع قلبي سوف اقسو
افهل يرضيك ان اقسو عليك
ويموت الحب شلوا في يديك ؟
افهل يرضيك ان تقتل حبي وهو حبك؟
وتبث الشوك في دربي
مع الليل ودربك ؟

انا واليأس صديقان افترقنا من زمان
وتبرأت وعاداني لاني صنت ودك
ولاني وحياتي والهوى
والحب محضا لك وحدك

كنت والهم شقيقين على العهد خلفنا
فهجرت الهم وانساق يعاديني
لانا ما التقينا
منذ لقياي مع الشوق وحبك
واصطفى قلبي قلبك

افهل ترضى بأن يقتل حبي وهو حبك؟
ويموت الشوق في قلبي طفلا
وهو صنعك ؟

سوف اروي لك قصة
من حياتي حينما تقسو عليَّ
وتريني الجانب الداكن للدنيا الشقية
في ظلام الليل والريح تمزق
علما فوق بناية
حيث تبدو غيمة سوداء
في معركة الانواء راية
مثل رايات المآتم
وعلى الافق نجيمات بريئة
وعلى المئذنة الخضراء في الظلمة جاثم
خدن ورقاء انتحت عنه الحمائم
لم اكن وحدي فدمعي وصديقي اليأس
والهم بجنبي
وتصورت بأني لن احبك
وتصورت بأني لم اعد احفظ ودك
وتخيلت بأني
سوف لن اصبح اما في الغد الآتي لطفلك
وبأني قد نسيتك
وتهاويت على الارض برعب

من ترى يملأ دنياي عطورا ومحبة ؟
من ترى يسكب في سمعي قبل النوم حبه؟
من يساقيني رضاب الشوق
صافيه وعذبه ؟

انت لن تقتل حبي
انا ادرى
غير اني وصديقي اليأس انسى
انني ارجوك ..
ان تقتل يأسي
انت ادرى عندما يطفح كاسي

بغداد **حياة النهر**

في رحاب النقد

قصة مدينتين لدكنز

بقلم ادجار جونسون

ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة

* * *

(قصة مدينتين) هي اهون القصص تمثيلا لنتاج دكنز واعمقها دلالة على مسلك حياته ... انها لا تملك غربلة القصة الاستطرادية المتنقلة ولا الصيت الذي يجعل قصصه الاكثر شهرة تماثل بعضا من الكاتدرائيات القوطية التي تنبجس عن شخوص عرضية وتفصيلات هزلية .. كجوقة فنسنت كرملز التمثيلية مثلا في (نيكولاس نكلبي) التي هي تطريز لطيف ، وكذلك (كولب) القزم الخبيث بطل (حانوت العجائب والغرائب) فهو شيطان من حجر مزوق ، اما الانسة الصغيرة ماوجر واوريا هيب فهما ميزابان (في هذا البناء) وهما من ابطال (داود كوبرفيلد) . ثم نلتقي ب (تشابان) المداهن في (البيت المكشوف) الذي يمثل نحاتا من القرون الوسيطة ، بيده تمثال صغير لراهب بدين جالس القرفصاء على قاعدة عمود من الاعمدة (١) .

على الضد من كل ذلك فان عقدة (قصة مدينتين) تخضع كل تفصيل لعجلة هدفهما . ان جميع شخوصها ضروريون للقيام بدورهم ولم يندس شخص واحد من اجل التسلية او محض السرور الخلاق . انها في الحقيقة لا تملك البهجة التي لا يطفأ اوارها كما نجدها طافحة في (دوريت الصغيرة) سابقتها و (آمال عظيمة) لاحقتها . ليس فيها تلك التدفقات المضحكة كما في ثرثرة فلورا فنتشنغ المتقطعة الانفاس والاوصال ، ولا المشاهد المأساوية التي مثلها (وبسل) في تقليده لهاملت . ولولا لمعات من الكوميديا الاستثنائية لكانت (قصة مدينتين) مركزة تماما في العنف الدموي الذي مارسته الثورة الفرنسية وعهد الارهاب وهو هيكل الرواية وموضوعها .

ان الموضوع المتضمن في الثورة ، في النقد الاجتماعي ، فيما يشبه التنبؤ الاجتماعي هو ناقوس الخطر الغاضب برنينه في كتاب دكنز هذا . ذلك ان قوته الجارفة تتمثل في الثورة الملتهبة ضد الدجل والقساوة والظلم ، حتى كتابه الجذل (اوراق بكوك) الذي قيض له الشهرة منذ بداية (حياته الادبية) مليء بالنقد التهكمي على ستفنز الداعي للاعتدال في تناول البرندي وعلى نبكنز مأمور الشرطة العربيد وعلى المنافسات السياسية التي تباع وتشرى في انتخابات (ايتانسويل) وفوق كل شيء التلاعب بالقانون في (دوسدون) و (فوغ) وخطط العريف بزفز الشنيعة في المحاكم . واهم من هذا كله ان النصف الثاني من هذه الملحمة الكوميدية يقع تحت ظلال جدران (فليت) الشائكة وفيه نرى عطف دكنز الغاضب على السجناء .

والغضب هذا نفسه يلتهب في (اوليفر توست) معبرا تعبيرا كئيبا عن عذاب المياتم والمشاغل تحت قانون (الفقر) الجديد ـ ١٨٣٤ ـ . وكذلك فهو يلهب هجوم (نيكولاس نكلبي) بوضع الشرر على هذا الزيت فيما يخص مدارس (يوركشاير) الرخيصة . وهذا يتبين ايضا في استنكاره لتحجر النظرية (النفعية) الاقتصادية في (شجرة عيد الميلاد) و (دومبي وابنه) وفي هجومه الصاعق على (مجلس العدلية) في (البيت المكشوف) وفضحه المر لاخلاقيات (الفلسفة) الصناعية في (اوقات عسيرة) وسخريته بالاشغال والبروقراطية في (دوريت الصغير) وكذلك تحطيمه الشهير للطفيلية والوضاعة المتعاظمة في (آمال عظيمة) . اما في (صديقنا المشترك) فهو يعرّي بعنف المادية المالية البربرية التي تتقنع بقناع المدنية . تقدم دكنز باضطراد من هجمات حصيفة على الشرور الفردية الى اتهام شامل لكل شرور المجتمع الحديث ، الشرور المتأصلة في كيانه نفسه وفي أسسه ... وعلى ذلك فتطوره بأسره حمله بدون مقاومة تذكر لتصوير ثورة الشعب العنيفة لاجتثاث اسس نظام فاسد منخور . . ان (قصة مدينتين) ترتفع عاصفة الى موضوعها العظيم بقوة مكفهرة وهيجان وحشي وتفاهم عطوف .

ان (العنف) هو محور كتاب دكنز وخير مفتاح لتفسير هذا الموضوع موجود في السجن . ثماني عشرة سنة من الحبس الظالم في (الباستيل) دفعت بالدكتور مانيت الى الجنون وحطمته وجرفته الى لعنة مهلكة . وحين نلتقي بتشارلس دارني اول مرة نجده سجينا في (نيوكيت) متهما بالخيانة والتجسس . وفي الدائرة العظيمة من الحركة السردية يسجن دارني مرة ثانية ، هذه المرة في سجن (كونسيرجيري) ضحية لافعال اسرته الماضية المعروفة باستغلالها وقسوتها وجورها . ولم ينج من الموت الا بتضحية سدني كارتون الذي حل محله تحت نصل المقصلة . ومشاهد السجن الطاغية هذه رموز اصيلة في هذا الكتاب . ان حبس الدكتور مانيت الطويل يرمز الى مصير الشعب الفرنسي برمته المحبوس بين جدران نظام اجتماعي قاس . اما تحطيم الباستيل فهو بيان رمزي وواقعي عن الثورة المحطمة لجدران السجون .

ومن الجدير ملاحظته التكرار المستمر لصورة السجن

---

(١) (نيكولاس نكلبي) و (حانوت العجائب) و (داود كوبرفيلد) و (البيت المكشوف) قصص معروفة من مؤلفات دكنز . المترجم .

في اعمال دكنز الادبية ... فالسجون موجودة في القصص من اولها الى آخرها ... ومن ذلك ان لندن توصف على انها سجن هائل كئيب في (صديقنا المشترك) (كما توصف المعامل والمشاغل والمياتم والمدارس الشعبية الفقيرة على انها باستيلات) . لا بد ان يكون لهذا التكرار جذور عميقة في التجربة العاطفية ، وهو ما هو واقع في الحقيقة ... واليك الدليل — لما كان دكنز في الثانية عشرة من عمره سجن والده في (مارشالسي) لدين عجز عن ايفائه فاضطر الطفل الى ترك المدرسة والانهماك في عمل تافه هو تغليف القناني في مصبغة جوناثان وارن بشارع هنكرفورد ستيرز . كان الطفل طموحا غاية الطموح ، فاذا بالكارثة تدفعه دفعا الى تعاسة مذهلة تقتل فيه كل رجاء .

اما زملاؤه العمال فكانوا صبيانا من لندن ، من ذوي الاخلاق والعادات الهجينة والثياب الرثة . كتب دكنز بعد العديد من السنوات قائلا : « ليس من كلمات تستطيع التعبير عن لواعج الالم السرية التي انتابت روحي ، كلما كنت اغطس في هذه الزمالة وخاصة اذا قيست بزمالة اترابي في طفولتي السعيدة ، وكلما شعرت بآمالي الاولى لكي انمو واتعلم واصبح رجلا معروفا وهي تتحطم في صدري ... كانت طبيعتي مفعمة بالحزن والاهانة النابعين من هذه الملاحظات .. وحتى الان وانا معروف ومقدر وسعيد ، غالبا ما انسى في احلامي ان عندي زوجة كريمة واطفالا اعزاء او اني انسان ، ذلك اني اعود فأتجول فريدا متوحشا في ذلك العهد من حياتي » .

لقد كان الجرح من العمق بحيث ان ندوبه النفسانية لم تجتث قط . ولم يكن دكنز ليتحمل التحدث الى زوجه واطفاله عن حبس والده في (مارشالسي) او حبسه هو في المصبغة . ولمدة سنتين عديدة لم يطق التقرب الى (هنغفورد ستيرز) او التقرب من المصابغ تجنبا من رائحة الفلين المحروق ..

وجلي ان المصبغة كانت لدى دكنز سجنا لا يختلف عن السجن الذي ابتلع اباه في الوقت نفسه . لقد ظل طيلة حياته يرزح تحت ظلين هما ظل مارشالسي وزنزانة عمله التي كان يقضي فيها يوما مجهدا يستقبل يوما تعسا آخر . فتحت هذه التجربة فتح سدود مشاركته الوجدانية لكل ضحايا الظلم وجميع المحرومين والمهجورين والمغبونين والابرياء والمعذبين في العالم . فأصبحت قضيتهم قضيته لانه كان وكانوا هم — في اعماق كيانه — وحدة واحدة . وحتى حين كانوا يثورون بعنف جنوني ويقعون في اخطاء التخريب والقسوة تجد لها غريبا من الفرح يتلظى في مخاوفه وخاصة عندما يتعرض الى الجنون الجهنمي الذي يثيره الاضطهاد في قلوب الناس الفقراء ..

ثم ان « قصة مدينتين » جذور متأصلة اضافية في الانتكاسات التي اصابت دكنز (في عنفوان مجده) كما اصابته الاهانات في طفولته . ولم لا وزواجه من كاترين هوغارث الذي كان يوما ما سعيدا ساء يوما بعد يوم حتى اصبح شقاء لكليهما . اذ لم يعودا رفيقين ، كالمسكين داود كوبرفيلد باقترانه بزوجته الطفلة ، لقد اكتشف دكنز ان زواجه كان « نبضة مخطئة من قلب غير منظم » وانه وكاترين جلبا التعاسة كل للآخر ومن اجل اطفالهما عمل ما في مستطاعه لخنق تعاسته في صدره وهذا كان ضربا آخر من ضروب الحبس والمضايقة .

وبينما كان يساعد صديقه ولكي كولنز في تمثيل الميلودراما (الاعماق المتجمدة) سنة ١٨٥٧ اغرم بالممثلة الشابة الين تيرنان . كان دور دكنز في المسرحية دور رتشارد واردور احد اعضاء حملة اكتشافية للقطب ، انسان ينقذ خصمه في الغرام من الموت على حساب التضحية بحياته ثم يموت في احضان محبوبته التي تمطر وجهه بدموعها .

كان دكنز يمزق نفسه اربا اربا في التمثيل كل ليلة امام انظار المخلوقة اللطيفة العصية البعيدة عنه بلا امل بسبب من سجن زواجه . ان التخلي عنها يعذب روحه ويمزقها ، انها بعيدة عنه بعد سماء الحرية الزرقاء من سجين تعس في الزنزانة . وبعد اشهر تلت هذه الحادثة فكر دكنز بزواجه فوجده قلعة من التعاسة جدرانها من الحجارة وابوابها من الحديد وهو مصفد بالقيود فكيف له ان يفر مما هو فيه ؟

وفجأة وفي الربيع الثاني (من الحادثة) سمعت كاترين بغرامه . ومع ان دكنز اصر على انه لم يخنها ابت تصديقه وبتحريض من اهلها طالبت بالانفصال منه . ومع ذلك لم يرغب دكنز بالانفصال ، لما فيه من فضيحة ، ولكنه اجبر عليه اجبارا . وهكذا تمت الترتيبات — في صيف ١٨٥٨ — واخذ كل من الزوجين طريقه الخاصة .

ولدت (قصة مدينتين) من جميع هذه المصادر العاطفية العميقة الجذور في الماضي وفي الحاضر . لقد خامرته الفكرة وهو يقوم بدور رتشارد واردور ، وما تضحية سدني كارتون بحياته وسط لهيب الثورة سوى تعظيم لوفاة واردور وهو يكافح بين الثلاجات في القطب الشمالي ، فليس غريبا اذن على خيال دكنز ان يحلم بالسجين المحجوز ظلما سنين طوالا ثم يطلق سراحه ... وبالحب اليائس الذي يحلق منتصرا الى انبل الذرى ...

يقول دكنز في مقدمة القصة : (لقد تحققت — في هذه الصفحات — مما جرى من حوادث وعذاب . وهذا ما جرى لي ايضا .) هذا بيان صدق وحق . وهذه العواطف هي عواطفه ، انه عرفها وعاناها جميعا . لكن هذا لا يعني ان الدكتور مانيت وتشارلس دارني وسدني كارتون صور ذاتية للمؤلف او ان لوسي مانيت صورة ثانية لألن تيرنان . تعكس الشخوص في القصة كجماعة لها صلاتها المتعددة بالمواقف الرئيسة وتعكس المظاهر الفردية لمعضلات دكنز

العاطفية : في تطلعه الى حب مثالي وخوفه الوسواسي من عدم العثور عليه ، وشعوره المجروح بعز الاعتزال ، وثورته الشخصية ضد اغلال المجتمع ، وفوق كل هذا وذاك ثورته الغيرية ضد الآمال الخائبة والتعاسات التي يوقعها المجتمع بالانسانية .

وفوق كل شيء يعد حبس الدكتور مانيت رمزا اجتماعيا وشخصيا . فكر دكنز مرة ان يعنون القصة « عودة الى الحياة » ومع ان الدكتور مانيت عاد الى الحياة من طريق المحبة ، فهو لم يغادر الباستيل الا مشوه الروح تشويها مرعبا وبالتدريج استطاع لمَّ كيانه غير المستقر . وبهذه الوسيلة يجسد الالم الخفي لنزلاء سجن (المدينتين) (٢) وعمال المصبغة، ذلك الالم الذي احتفظ به دكنز في مخيلته وذاكرته ... وعلاوة على كل ذلك يرمز الدكتور مانيت الى ضروب العذاب التي يسهم بها دكنز — في قلبه — عذاب ضحايا (باستيلات) المعامل ومآسي الخياطين المشوهين المحكوم عليها بالاشغال الشاقة في معامل كالسجون ، والالام المبرحة التي يعانيها الاطفال المظلومون والمهجورون . فهل يمكن لمثل هذه الشرور ان تزول وهذه العذابات ان يكفر عنها ؟ هل يمكن ان يعاد سجين الباستيل الى الحياة ؟ هل يمكن الغاء الماضي بوزره المرعب ، وزر الاثم والالم ؟ الا ينتج الظلم ظلما ملتهبا في اهوال الثورة المطوقة كلا من المذنبين والابرياء في اعصار من الضحايا ؟

من هذه الخيوط كلها ، من الطفولة النائية ، من السنة الماضية والسنوات الاخرى ، من المرارة الشخصية والغضب الانساني ، من كل ذلك تسبج الكيان القرمزي ، كيان (قصة مدينتين) كما صورت جلبة الثورة وصخبها بمشاركة وجدانية مدركة ، وعلة ذلك كله تكمن في المرارة والجلبة والشعور بالظلم غير المحتمل ، تلك الامور التي هزت قلب دكنز هزا . اما مرجل (الارهاب) فكان هذا العالم المنظور الذي ملأه بنتوءات اللهيب العاطفية . ومع ذلك فقد كابد المتاعب المضنية لكي يكون الكتاب على اتفاق مع الوقائع التاريخية وان يكون دقيقا في تصوير فرنسا وانكلترا في القرن الثامن عشر . وقد شاور كارليل الذي اعجب بكتابه (الثورة الفرنسية) ليساعده بالمصادر التي تخص هذه الفترة ، فشكره على فضله ولكنه صعق لما بعث اليه بعربتين مليئتين من مكتبة لندن . وايًا ما كان الامر ، فانه خاض في هذه الكتب ، وفي غضون انشغاله بـ (قصة مدينتين) لم يقرأ شيئًا من الكتب غير ما يتعلق بهذه الفترة . وكلما ازداد عمقا في الانهماك بالقراءة ازداد اعجابا بكارليل الذي استخلص زبدة هذه الكتب ووضعها في فريدته المكفهرة « الملتهبة بمادة الانفجار الرئيسة » .

عرف دكنز جيدا ان حالة الفلاحين وسكان المدن لم تكن مرعبة في عشية الثورة كما كانت في بداية القرن . ولكن الضرائب كانت اشد وطأة على الفقراء منها على الاغنياء الموسرين ، اما النبلاء ورجال الكهنوت فقد كانوا معفوين من ضريبة العقار المكروهة . اما ضريبة الملح فقد كانت موضع نفرة الفقراء جميعا . ولم يكتف النبلاء (بما نالوه) بل نراهم يحاولون احياء الديون الاقطاعية القديمة ، ولذا فليست الانتفاضات الفلاحية في دوفيني وبروفنز وبرغندي واندلاع حركة غوغاء باريس اعمالا اصطناعية من اعمال المحرضين ، انما جاءت نتائج حتمية للعذاب والجوع . قامت (الرجعية) ببعض التنازلات والاصلاحات لكنها كانت زهيدة جدا ومتأخرة .

رد دكنز على صديقيه فورستر وليتون بخصوص تساؤلهما عن مدى صحة تصويره لفرنسا قبل الثورة ، رد قائلا : « طبيعي انني اعرف اكمل المعرفة تنازل الاقطاعيين الشكلي عن امتيازاتهم ، ولكن هذه لم (يشعر) بها الناس الا بمرارة وقد جاءت في وقت اقرب ما يكون الى (الثورة) وتأريخ قصة (الدكتور) بعيد عن عهد (الارهاب) كما هو معلوم . وبمنطق الفلسفة الجديدة من المعقول والمقبول ان يتعلق احد النبلاء بالافكار القديمة القاسية التي تمثل العهد الذاهب كما يتعلق ابن اخيه بما هو آت من عهد . واذ كان على الارض شيء مؤكد فهو ان حالة الفلاح على العموم — في فرنسة — كانت حالة غير محتملة . ومهما حاولت البحوث المتأخرة ان تثبت (الضد) بالارقام فهي عاجزة امام الشهادة العظيمة ، شهادة الناس الذين عاشوا ذلك العهد . »

عانى دكنز الامرين في كتابة قصته . ففي شباط ١٨٥٩ حين وجب البدء بالعمل .. رأى نفسه غير متمكن مما يريد ، وبهذا الصدد قال : « ليست افتتاحية قصتي مرضية لنفسي ... » ويعود سبب ذلك الى تركيز القصة وايجازها الامرين اللذين يمثلان صراعا بالقياس الى دكنز الذي تشكى من الحال قائلا « ان الحصص الصغيرة المخصصة (في الكتاب) تكاد تجنني . ولا شيء غير الاهتمام بمدار البحث (الموضوع) وسرور الكفاح وسط الصعوبات (الفنية) — ما يمكن — « ان يعوض عن الوقت وهمّ التكثيف المستمر . لقد وضعت على كتفي عبئا خفيفا هو ان (اكتب) قصة ذات صور . أي ان اكون في كل فصل على صلة مع شخوص امينة للطبيعة على ان تعبر القصة عنهم تعبيرا يفوق تعبيرهم عن انفسهم من طريق الحوار . »

لا يمكننا — بهذا الصدد — ان نقول ان دكنز انجز نجاحا تاما . ففرضه بجعل القصة تصور الشخوص من طريق الافعال والاعمال لا الحوار فقط او باكتشاف مشاعرهم الباطنية انتهى الى ان يكون الكتاب مليئا بالحوادث

---

(٢) أحد السجون المعروفة في لندن التي كانت تختص باحتضان العاجزين عن ايفاء ديونهم ، المترجم . (٣) هسكث بيرسن : كاتب وناقد انكليزي معروف ، وهو من الكتاب المعاصرين الذين لهم الباع الطولى في النقد الادبي ، المترجم . (٤) من كلام المترجم . (٥) كناية عن المقصلة ، المترجم .

الخارجية وموجزا الى حد الابتسار مع تشخيص تخطيطي قليل الغور . فتشارلس دارني – مثلا – ليس الا سيدا محترما وكذلك لوسي مانيت ليست سوى فتاة حلوة ساذجة . اما سترايفر فهو مخطط صورة جيدة .. وهم هؤلاء الناس الذين يتصرون في عالم يغلب فيه سدني كارتون . اما جارفس لوري ، المصرفي العجوز ، بقلبه الرقيق المقنع تحت آلة الاشغال القاسية ، « التي تدور في مصقلة المال الهائلة » فهو مخطط صورة ايضا . ثم (لنلتفت) الى الدكتور مانيت ، فمع انه موضوع الملاحظة الثاقبة ، الا ان تطور شخصيته اقل حساسية وحذقا من تطور شخصية السيد دوريت السجين الآخر .

وسدني كارتون هو الوحيد من الاشخاص، الذين انجزوا شيئا من العمق النفسي . والدرجة التي يعكس فيها مشاعر دكنز الخاصة دفعت بهكث بيرسن (٣) الى اختزاله لانه يمثل شخصا مسرحيا « يرى فيه » دكنز « نفسه على انه روح مظلومة كثيرا ، معذبة اعمق العذاب » وبهذه الطريقة « انتج عملا ادبيا واسع الانتشار يرينا العديد من تعذب الارواح البطلة ومدى الظلم الحائق بها في هذا العالم . » ومع لوذعية هذا التعليق فهو بجانب العدل بالقياس الى دكنز او حتى الى هؤلاء القراء الذين شابهوا انفسهم بسدني كارتون ، هذا الانسان هو روح معذبة ذات بطولة ، وهو ايضا شاعر شعورا عميقا بالظلم الذي اجترحه بنفسه وبالاساءة التي اقترفها في اضاعة مواهبه هباءا في الحياة ، وبالندم والاثم والشعور بالكفارة . واذا ما نظر الانسان الى نفسه نظرة مثل هذه ، فليس من عاطفية ولا خداع في تمثيل نفسه على انه ضحية بريئة . ان نكران كارتون لذاته هو تطهير وفداء وهو كمال العدالة العميقة وسط مغالاة الانتقام المدعوة عدالة اجتماعية ، والتوكيد المنتصر لقوة الحب المبدعة المنقذة .

ومع ذلك لا بد من الاقرار بأن كثيرا من القراء ليسوا متجاوزين الحق تماما اذ راوا في موت كارتون اغراقا في العاطفية .. وبخاصة اذا ما نظرنا الى الخياطة التي يهدىء كارتون روعها وهي تتقدم الى المقصلة وكذلك نبل رؤياه وهو على حافة القبر ووداعه الاخير : « ان ما افعله الان ، احسن ، احسن مما فعلته من قبل ، وان الراحة التي انا ذاهب اليها احسن ، احسن من اي راحة عرفتها . » وفي الواقع ، كلما كانت القصة تحتذي المغامرات العاطفية ، كانت اقرب الى الخيبة منها الى النجاح ومن تلك (العاطفيات) خطاب لوسي الطويل الموجه الى والدها في غرفة (ديفارج) حين تضع رأسه الاشهب المقدس على صدرها ، فليس من المعقول ان يكون ذلك كلام فتاة ذات سبع عشرة سنة بما في هذا الكلام من تصنع ادبي وكلمات دامعة ...

وفي القصة شائبة اخرى ربما هي نتيجة من نتائج سرعتها وايجازها . ان المصادفات يمكن ان تبدو طبيعية في وفرة ابداع الشخوص وازدياد المجال في قصص دكنز الطويلة . ولكن في قصة مركزة سريعة الجريان مثل هذه تبدو الجماعة المرتبطة بالعقدة اكثر ما تكون سطحية وتبدو المصادفات التي تجمعهما خرقاء ، (ولو كانت القصة على شيء من البسطة والطول لما كان الامر كذلك بالقياس الى المؤلف لاستطاعته من تطويع المصادفات تطويعا معقولا متناسبا مع المكان والزمان) (٤) .

ومن تلك المصادفات المرتبة ترتيبا ان يكون بائع المسكرات ديفارج خادم الدكتور مانيت القديم وان تكون مدام ديفارج البنت الصغيرة للزوجين اللذين شهد (الدكتور) وفاتهما وان يكون دارني الابن البريء لاسرة سنت ايفريمون الخبيثة والا يكتفى به بأن يصبح صهر الدكتور بل يؤتى به الى (حجر المغنطيس) (٥) وان يكون ديفارج الوحيد من بين الناس ، من يجد الاوراق المخفية التي تسبب تقديمه الى المحاكم الثورية . وفوق كل هذا وذاك شخصية جون بارساد السجان والجاسوس ، فهو بين عشية وضحاها يصبح شقيق الانسة بروس ... وأسنى المصادفات مشابهة كارتون لدارني مشابهة غريبة بحيث حل الاول محل الثاني بغير ريبة او شك . صحيح ان دكنز كان مستعدا لهذه الاحتمالات غير المعقولة ، وبالرغم من لوذعيته الكاملة فقد ترك هذه الاحتمالات غير مقنعة وعلة ذلك كثرتها غير المقبولة .

وتجاه هذه النواقص في الكتاب ينبغي ان نذكر روعة التنبؤ والرمزية وحيويته الرائعة والقوة المتأججة التي بواسطتها تعرض الثورة بانجرافها الهائج . ما اروع اصداء الاقدام المتأتية من المنحنى القريب من منطقة سوهو حيث كان مسكن الدكتور مانيت (في لندن) .. وما احسن التمثيل الرمزي في – فوربورج سنت انطوان – (في باريس) – عندما ينسكب الشراب بلونه القرمزي من البرميل على الارض فيلوث الارجل الحافية والاحذية الخشبية ...

ان (الثورة) نتيجة لا مفر منها من نتائج (الظلم والفساد والشرور الاجتماعية) وقد تمكنت (قصة مدينتين) من ان ترسم ذلك كله ببهاء وروعة وجلال ... ان العاطفة الثورية ترتفع حتى تصل خيال الرعب القاني ، وهنا تنقسم عواطف دكنز : فهو يشفق على الضحايا ولكنه يفهم الجنون الذي يندفع اليه الشعب من طريق الارهاب ، فمرة تراه مسرورا تهطل دموع الفرح من عينيه من اجل الدكتور مانيت ومرة تراه يطالب صاخبا برؤوس اكثر خائضا في نهر من الدم .

وكالعاصفة ، كالزلزال ينعقد غبار (الارهاب) جارفا في طريقه ضحايا جديدة مطوقا القضاة والمحلفين على حد سواء آخذا بنواحي الالاف منهم الى مسالخ المقصلة ...

ومع كل ذلك لا يجد دكنز في عهد (الارهاب) غير مخاض لم يمجده ، وهو يبصر بالرؤيا النبيلة ، رؤيا الثورة

الضرير

حتام يضنيك المسير   لدى العشية والبكور
أتراك تلتمس السنى   من مصدر النور المنير
بدلت من عين عصا   وظلام سجن بعد نور
بؤس وحرمان وليل   لا يزول الى النشور
ينبو بك الامل استحال   الى دجى الياس المرير
لا تنظر الفجر المطل   ولا الصباح ولا السفور
تصغي الى غرد الطيور   أسير دهر لا يطير
وتشم غب القطر   ريا الزهر والروض المطير
فتتوق نفسك ان ترى   ما ابدع الباري القدير
ويمر في جنبيك أوار   أحر من السعير
تصغي الى الصوت الرخيم   ضحى يرجعه الغدير
وصدى القلوب اذا هفت   شوقا تردده الصدور
فتود لو بعت الحياة   بنظرة الظبي الغرير
هيهات ان ترتاد عين   منك ربات الخدور

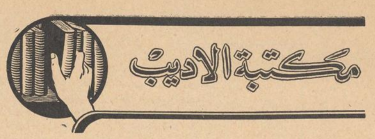
يتلى عليك الشعر في   وصف الشوامخ والصخور
والارز والوادي المقدس   والمنابع والنهور
وتحس اذنك بالخرير   وبالحفيف وبالهدير
ما بين شلال وغاب   او زلال او نمير
في وصف لبنان المهيمن   بالعلاء على النسور
لو كان أمكنك البكاء   لجدت بالدمع الغزير
او لج شوقك بالحنين   تفتح الجفن الكسير
يعقوب أبرأ مقلتيه   حنينه نحو الصغير

هل ذا قرأت روائعا   من شعر بشار الحسير
ان الذكاء من العمى   الزكي العواطف والشعور
وأبو العلاء جنى عليه   ابوه في خالي الدهور
أم هل رأيت ابن الحسين   بمصر مفخرة العصور
بالعقل أشرق في المشارق   والمغارب كالبدور
كم من ضرير في الحياة   رأيت اسعد من بصير
هو مغمض الجفنين عن   شتى المفاسد والشرور
وعن المهازل والمخازي   بين ربات القصور
وعمى العيون اخف شرا   من عمى الفكر المنير

بكاسين ــ لبنان   **جرجي نصر**

بين هذه العواصف دون ان تفقد لمعانها بأسره ، بل لا بد لها من مستقبل زاهر ، تخفف فيه على الاقل من عذاب الماضي وفي هذا الصدد يقول دكنز : « ارى مدينة جميلة وشعبا رائعا يبرزان من هذه الهاوية ، ومن اجل ان يكون هذا الشعب حرا حقا في انتصاراته واندحاراته ، على مدى السنين الطويلة الآتية ، ارى شر هذا الوقت والوقت الذي مضى ، شر الحاضر هذا الذي هو وليد الماضي ، أراه يكفّر تدريجا عن نفسه بعد طول انهاك وتلف . » ومن هنا تعلو (قصة مدينتين) على كره اليعقوبي العنيف وخوف الرجعي المريض مؤكدة الثقة التاريخية الايجابية بمستقبل الانسانية الوضاء . اي ان رؤيا دكنز الثورية تخضع الغضب والانتفاض لذرى الوحي والمحبة .

اربيل ــ العراق   **يوسف عبد المسيح ثروة**



بــؤس وضيــاء

مجموعة شعرية ـ محمد عزيز الحبابي عميد كلية الاداب والعلوم الانسانية في الرباط ـ تقديم الاميرة للاّ عائشة ـ ١٦٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة ستاركو بيروت

في مؤتمر روما الاخير ـ اكتوبر ١٩٦٢ ـ عرفت الاديب المغربي الدكتور محمد عزيز الحبابي ، عميد كلية الاداب والعلوم الانسانية في الرباط . ولكنني في الحقيقة لم أعرف منه غير المظهر : الشكل الانساني الذي يشترك فيه مع كل المخلوقات الانسانية ، أما المميزات الروحية والادبية التي يتميز بها عن العاديين من بني الانسان فلم اعرفها آنذاك ، ولكنني عرفتها اخيرا فقط ، حين قرأت مجموعته الشعرية « بؤس وضياء » التي تولت ترجمتها عن الفرنسية ثم نشرها دار « منشورات عويدات » في بيروت ، واخرجتها اخراجا أنيقا فاخرا ، وقد تفضل اخي احمد عويدات في زيارتي الاخيرة له فخصني باول نسخة صدرت منها .

في هذه المجموعة عرفت روح الحبابي الكبيرة وقلبه الرحيم ، ولمست احاسيسه الحانية ، ووضعت أصابعي في اماكن الجراح من قلبه وفكره . لقد عرفت « الانسان » الاصيل المبدع فيه ، لا الشكل والمظهر فحسب ، عرفته حيث يتفجر الدم حارا في عبارته ، وتتدفق المشاعر حية في سطوره المترقرقة ، عرفته حيث اللفظة عنده نبضة قلب ، وخفقة وجدان ، وحيث العبارة احساس انساني نبيل ، وتجسيد لفكرة انسانية غنية بالصدق والسمو .

في هذا الكتاب الانيق الصغير الحجم ، ذي الصحائف المئة والستين من حجم الجيب ، عطاء خيّر وفير ، وفيه فيض سخي من الحنان والرقة . حتى الثورة فيه هي ثورة حنون : ثورة انسان يابى ان تهان الانسانية في بلده وقومه ، او في أي بلد او قوم آخرين ، ويشفق حتى على مهينيها لانهم يهينون انسانيتهم كذلك .

انه ديوان غني غني ، لا يدري المرء أي ثماره يجتني اولا ، او اي عناقيده يبدأ بالتناول ، او أي قطوفه يختار للتمثيل ، فكلها ناضج شهي ، يملأ العين والاذن والنفس بمعاني الجمال واللطف والحس الرهيف .

وللحبابي مؤلفات ومجموعات شعرية اخرى ، كلها بالفرنسية ، الا واحدا هو (مفكرو الاسلام) . وكانت مجموعة (بؤس وضياء) هذه قد صدرت اول مرة بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٨ ، ثم أعيد طبعها للمرة الثانية في العام نفسه ، وللمرة الثالثة عام ١٩٥٩ ، مصورة بمقدمة للاميرة للاّ عائشة . وقد تُرجمت المقدمة عينها الى العربية ، وصدّرت بها الطبعة العربية الجديدة من هذه المجموعة .

ومحور هذه المجموعة الشعرية باكملها هو « الانسان » ، فهي مجموعة انسانية الفرض ، انسانية الحس والتعبير ، سواء منها ما كان خطرات ، وما كان ثورة ، وما دار على فكرة فلسفية في الانسان والوجود ، والشاعر ، انسان تملأ الانسانية وجوده كله ، ويفهم الشعر غرضا انسانيا غايته خدمة الانسان عن طريق الفن الجميل: فن اللفظة الموسيقية المعبرة الجميلة .

يقول الحبابي في قصيدته الاولى « العابثون » :

الشعب لا يموت
حين تكون حياته لهيبا وشعلا
ان الابيّ
لا يتوسل
لا يجثو على ركبتيه
هدفه ارادة الحياة
الحياة بكرامة ،
الشعوب التي تنحني تنكسر مناكبها
فلنرفع الراس لنعيش كراما !
لنعيش كراما !

وانا اود ان يتامل القارىء كيف تتدفق الالفاظ بحيث تؤدي كل واحدة منها دورها الكامل في تادية المعنى الانساني الذي يريده الشاعر ، وكيف تعمل كل لفظة عملها في نفس القارىء ، لانها عميقة ، منتقاة لمعناها ، مفصلة بانافة وذوق وحس رهيف على قياس فكرة الشاعر او احساسه ، ليس في هذه القصيدة فحسب ، بل في كل قصيدة أخرى في المجموعة ، كما سيظهر من النماذج التي نقدمها في هذا المقال .

وليتامل القارىء كذلك رقة الحس الانساني ، وعمق الحنان ودفئه في القصائد التي توحي بها الطفولة ، ولينظر كم تثير الطفولة في نفس الشاعر من نقمة على الحرب ، لانها تنغّص احلام الطفولة البريئة ، وتقضي على البراعم التي لم تتفتح بعد على خير الحياة وجمالها . هاك ما يقوله في قصيدته « استمع يا ولدي » :

ان حقك في الحياة يفرض عليّ
واجب تغيير العالم ، وتنظيفه كآنية
سوّد الدخان قعرها واطرافها .
من السهل انجاب ولد ، ولكن تامين
عالم هنيء له أقل سهولة ،
من السهل اعطاؤه اخوة ، ولكن
ضمان الصداقة له غير سهل

ثم يناجي طفله قائلا بحذر وتحذير من المستقبل الاشوه البغيض :

ان الكآبة العظمى ان تدعى
لارتداء « الكاكي » ، وان يقال لك :
عند منعطف الطريق هناك عدو لك
اطلق النار على الجميع .
فسوف تغمض عينيك لترمي
وسوف تقضم البارود وتستنشق الدم
انه دم جمهور
جمهور من الرجال
رجال تجلهم
والمجهولون اذن هم اعداء
يجب ان تزحف وتطلق النار
تطلق النار وتزحف
زارعا الموت
محرقا البيوت والاشجار والماشية
والناس ايضا
وعندما يلتهب الثرى
وتنهار المنازل
وتحترق الاشجار
وعندما يخفت نفس الارض الجريح

حتى لا تستطيع تنهدا
يجتاح المحاربون المعابد سكارى
ليعبدوا الاله الازلي
وتنزلق صلوات حارة من شفاه رخوة :
« يا رب ، لتكن مشيئتك ! »

هذه الخواطر التي يناجي بها الشاعر طفله ، منبّها اياه الى همجية القوة المدمرة التي قد تسخّره ذات يوم لتدمير انسانيته وانسانية الاخرين ، هي انسانية جديرة بالتقدير العظيم ، لانها تدل على قلب مخلص في حبّه « للانسان » وحقّه في الحياة الآمنة الكريمة الحرة . وليس ابلغ في تصوير ندامة المحاربين من هذه الصورة الاخيرة التي رسمها الشاعر بأروع لون واكثره بساطة ، وجعل اللمسة الاخيرة فيه تلك العبارة المستسلمة الى مشيئة الله ، تتدحرج بحرارة عن شفاه رخوة : « يا رب ، لتكن مشيئتك » !

أما انسانية الطفولة فتتجلى لنا ارق واعمق واوفر حنانا في قصيدته « أنت يا من ستولد » :

اخرج من الظلام يا ولدي
تعال فاصنع من وجنتيك الورديتين
ربيعي
تعال فاعكس جمال النهار
ونسّق
كل شيء حي في البيت
تعال فاملأ الطبيعة ابتساما
ابعث الفجر
بدّد الاسرار والظلام
غنّ لحن الوجود للكروم
أضرم السماء كلها بشعلة
بينما الارض تنبت الياسمين والحنطة .
الى نشاتك
يا ولدي المقبل
الى مولدك
الى تجدد مولدك
أمد يدين سعيدتين
تعال احمل معي
المصير الكئيب
في معركة بطولية
نخوضها في حماس وايمان

ان الطفولة ، او الانسانية الطفلة ، تستثير خيال شاعرنا الحبابي وتستفز حنانه . وها هو يهتف في قصيدته « ومن المهد خرجت حمامة » :

نم يا صغيري
ان روحك من بياض الثلج ونقاوته
فلن تكون ابدا قطعة من ليل
نم
سنكافح من اجلك
سنضمن لك السلام والرياحين والمأوى
نم
ستضحي لنا خميرة الغد
وسيموت دعاة الحروب بغيظهم

ثم يقول في قصيدته « جوع » :

ستنفتح عيناي على الشمس
حين يتوفر الخبز اللازم
للاولاد
في الغد
الغد المطمئن

وما هذه الاستثارة التي تفعلها الطفولة في قلب الشاعر الا لان قلبه « قلب انسان » ، ومن هنا نقطة الانطلاق عنده لمن شاء ان يدرسه في مجموعته الشعرية ، وان يفهمه .

ألحان الانسانية وحدها
تضفي الصدق على أغانينا

كذلك يقول في قصيدته « تعلّم الغناء » ، وقوله هذا هو الشعار الذي تتمثل فيه روحه ، وتتمثل فيل كذلك جميع قصائد مجموعته هذه ، ففي روحه حب عظيم دون حدود للانسان ولكل ما يتصل بالانسان ، وكراهية عظيمة لكل ما ينغّص على الانسان انسانيته ورفاهيته وراحته وحريته .

محبتنا للبيت وللاسرة
وللعشب النضير
وللماء الضاحك
عظيمة وغنية كسمائنا المرصعة بالنجوم .
نحبُّ هذه السماء الرحبة
من صميم نفوسنا البلورية الجريحة .
كل دمعة يستنزفها الظلم
نسمة حياة تتلاشى .
يجب ان نحبَّ حيث الموت
يهدّد جمال الابتسام
وبهجة الحياة

وهو بالحب يشعر بأن انسانيته تكتمل وتصبح جديرة بمعناها ، جديرة بأن يحياها الانسان ، وان يحيا بها ولها ، فالحب هو الذي يخلع الجمال على كل شيء ، ويزيّن الوجود الانساني كله ، دون حدود ودون تفرقة :

لاني أحب العالم
تجمّلت الطبيعة
وانقلبت ضوضاؤها انسجاما .
أعبُّ العطور
وأغتسل بالنور
وأستلقي على الخضرة .
وعندما أنتشي بمباهجها
يذوب في بوتقة الانسانية
حنيني الى وطني .
الشعوب جميعها لي أخوة
والمحبة لي أوطان

ومن حبّه للانسان يحب الحرية ، ويتغنى بالاستقلال . فها هو يخاطب الحرية يوم هبَّ شعب المغرب يطلبها ويقدم على مذبحها الدماء والارواح ، فيقول :

شعب برمّته صاح
في نشيده النابض المنتفض
بالغضبة الزرقاء والفخر
هاتفا باسمك العظيم الشارد
تسحر دن في الأجواء الاثير
أيتها الحرية !
استخدموا اسمك ممسوخا
للتحقير
للاستعباد
فباسم اسمك البهيج
نستنشق الحياة

أيتها الحرية !

ويعود فيخاطبها مرة أخرى تحت عنوان «الحرية ، يا ماهية الانسان!»

ما دام اسمك اغنية
فكل حرف فيه لازمة
تزعزع الامبراطوريات
تهدم السجون
انت بلسم كياننا
أيتها الحرية !

وفي قصيدته « ابن عرفه وتّى » يقول :

رايتنا الحمراء سترفرف
حمراء
كدم شهدائنا
وشعارنا الاخضر
أخضر
كسهولنا الخصبة

الشعب باسره سيرقص
على اللحن الرائع
لحن الحرية
الخلابة في معطفها الندي
ذي اللون الازرق
الشعب باسره سيرقص

وهكذا كيفما قلبّت صفحات هذا الكتيّب وقعت على سطور أملاها الحب ، وخطّها قلم الانسانية الرحيمة الحانية ، فالحب والانسانية هما المضمون الذي يجمع تلك الصفحات المئة والستين ، وقلب الشاعر الانسان المحب هو الواحة التي عناها في قصيدته « واحة بلا حدود » ، والتي قال فيها :

أقِفار ؟
أين ترون القفار ؟
في كل مكان أجد اخوة
وواحات في كل مكان :
القلوب واحات سرمدية .
القفار ؟
تجديفات ازلية
تلقي ظلالها السوداء

على عقول متعجرفة
مثقلة بأحكام جوفاء
طاردوا البغضاء
فتخصب الصحراء !
لم تبق أقفاص للانسان .
القمر لا يكبّل
والشمس لا تستسلم .
تنفتح القلوب فيبذر الحب .

حتى وهو تحت مشرط الطبيب ، وفي غمرات الاوجاع والداء ، ينفتح قلب الحبابي الشاعر ليرى الالم رمزا لوحدة القلوب ، ووحدة المشاعر ، ووحدة المصائر ، ووحدة الانسانية المعذبة الخائفة ، فيقول تحت عنوان « يا له من مشرط ! » :

الايام نفسها تتناحر
أمام أنّات وضجر
لرجال متحابّين
تحت شارة المشرط اللامع
منبع الحسرة والالم
فكم وحّد الخوف بين القلوب
وذاب الخصام أمام الالم .
نقيم جميعا صلاة الخشوع
لاجل الجميع
فما أعظم أسرار الالم .

هذا القلب الكبير المنفتح على الحب الكبير : حب الانسانية دون حدود ، هذا القلب الكبير بانسانيته ، بايمانه بالانسان ، بعمله لاجل الانسان ، بتقديمه قرابين الفن على أقدام الانسان ، هذا القلب يعطينا نفسه في كل قصيدة من هذا الكتيّب ، بل في كل عبارة من كل قصيدة. هو قلب صديق لكل انسان ، فهو يهتف في قصيدته «صداقة»:

حبّات من بذار واحد
في مهبّ البسمات الاولى
ستفمرنا في ضياء واحد :
الصداقة ملك مشترك .
كل انسان سيّد نفسه
لكل أهداف يتفرّد بها
لكننا نتقاسم الصداقة
ملكنا المشترك
اريد ان اخلع وحدتي
كما يخلع الفارس زرده بعد المعركة
وارتمي بين الجماهير
فمن الجداول يشكّل البحر .
ما أبهاه من واجب
لتحقيق المصير الجديد !

وليس الجمال الذي يترقرق في قصائد الحبابي هو جمال العاطفة ، او جمال الفكرة فحسب ، انه ايضا جمال التعبير . وجدّته ، انه الصدق الذي تنضح به العبارات والالفاظ ، هذه العبارات والالفاظ التي يكاد القارىء يحس انها جديدة في التعبير العربي ، بل هي جديدة حقا ، وغير مالوفة عندنا ، ولكنها جميلة ، بل رائعة في جدّتها .

اليك أخيرا هذه الصورة من شعره الفني بالجمال والانسانية والسخي بنضارة التعبير وطلاوته ، وهي من قصيدته (أمل الفلاح) .

عندما نتعب
في سبيل عالم أفضل
وعندما نروي كرامتنا
من ينابيع العمل
اذ ذاك بجرأة
واليد باليد
نفجّر أفضل غد
الفرح الذي يعقب الجهد
مخصبا بالرجاء
يلبس فجرنا رداء النصر
الامل وحده يجفّف دموعنا .

انني لاكاد انساق مع اعجابي العظيم بهذا الكتيّب السحري ، حتى لاود ان انقله برمّته ، وانقل ما يفيض به من جمال وعذوبة الى القارىء ، فانا منه في حديقة تفوح باطيب الاريج ، وتجود بأعذب الالحان واروع المشاهد . انه لواحة تفيء اليها النفس لتشعر بدفء الحب ، وحلاوة التناغم مع مختلف صور الانسانية الجميلة : صورة الطفولة البريئة وأحلامها الحلوة ، صورة الفلاح والعامل الكادحين المكافحين لاجل الرغيف ولاجل اسعاد الاخرين ، صورة الالم الموحد بين ابناء الحياة ، صور الحروب ، والعجرفة ، والظلام ، والاقمار السوداء ، وبالتالي صورة الانسان في وجوده الواسع الشامل ، وفي مشاعره وامانيه واحلامه التي تنزع دائما الى الاكمل والابهى والاسمى .

لقد ابدع الدكتور محمد عزيز الحبابي في قصائده هذه ، وابدع كذلك الصديق احمد عويدات بنقلها الى العربية ، فنقل بها تعابير انسانية ، وصورا وخيالات جديدة حلوة تساعد على اغنـاء العربية وتجديدها .

ان ميزة قصائد الحبابي ، لهي كما قالت الاميرة للا عائشة في مقدمتها لهذا الكتاب : « الرغبة في ان يحيا الانسان حياة الكرامة والاغتباط بالمحبة ، ميزة الابداع في التصوير والصياغة » .

وها أنا امدّ يدي من بلدي العربي البعيد في المشرق ، لاصافح أخي الحبابي الشاعر في بلده العربي البعيد في المغرب ، لاهزّ يده بحرارة ، فقد عرفته الان على حقيقته : حقيقة الانسان الخيّر النبيل ، وبذلك كملت معرفتي له ، وكبر اعجابي به ، وحبي وتقديري له .

عمان — عيسى الناعوري

محمود احمد السيد

تاليف محمود العبطة المحامي ـ الجزء الاول ـ ١٣٠ صفحة ـ مطبعة الامة ببغداد

لم تنل القصة العراقية الحديثة الاهتمام الذي ناله الشعر العراقي المعاصر من قبل النقاد والكتاب . لقد استطاع القصصيون العراقيون ان يثبتوا (وجود القصة العراقية) منذ عشر سنوات على صفحات المجلات العربية الكبرى وان يفوز بعضهم بجوائز تقديرية وكتب بعض النقاد العرب دراسات مستفيضة عن القصة في العراق كالدكتور سهيل ادريس ومحمود امين العالم ومارون عبود وتيمور واحمد كمال زكي وقد رأى الدكتور ادريس « ان القصة العراقية الحديثة تقف في طليعة النتاج القصصي في الادب العربي المعاصر من حيث انعكاس الاوضاع الاجتماعية في مرآة الادب » وقد اجمع كل النقاد الذين تناولوا القصة العراقية على ان رائدها الاول هو محمود السيد وكتبوا شيئا عن نتاجه المشهور .. وها ان الاستاذ محمود العبطة يطلع علينا بدراسة شاملة ـ هي الاولى من نوعها ـ عن المرحوم « السيد » اهداها « الى الشباب من الادباء لتكون مقدمة لدراسة الراحلين والمعاصرين من ادباء العراق ، لدفع عجلة الادب العراقي الواقعي الى الامام » وهي التفاتة تستحق الشكر والاعجاب والاكبار .. لاسيما انه بذل جهدا مضنيا وتتبعا لاخبار « السيد » ومقالاته وقصصه التي نشرها باسماء مستعارة واتصل باصدقائه واقربائه في سبيل الوقوف على كل شيء مهما صغر وخرج علينا بالدراسة القيمة التي تواضع فاسماها « مقدمة » و « محاولة اولى » وقد ابتدأ دراسته عن حياة محمود السيد والبيئة التي عاشها في حارة (باب الشيخ) ، واصفا الحياة العامة في هذه الحارة الشعبية العريقة وتقاليدها الدينية والاجتماعية وتأثر « محمود السيد » بالاحداث التي مر بها عراقنا الحبيب من اعلان الدستور عام ١٩٠٨ واستبشار الشعب وخيبة امله ثم اعلان الحرب العالمية الاولى ومآسيها ودخول « السيد » المدارس وتفاعله مع المجتمع ودخول المستعمرين بغداد ووعودهم الخلابة والامل الذي راود « السيد » في تحقيق اماني الشعب بعد ثورة (حسين) في الحجاز . ثم خيبة امله .. ثم يمضي الكاتب « العبطة » مستعرضا حياة السيد باسلوب شائق يعرض فيه تاريخ العراق واحزابه السياسية والصراع السياسي والحركة الادبية والفكرية .. واثر سفرته الى الهند واتصاله بالثوريين والاشتراكيين هناك كما استعرض خدمته للفكر العربي وترجمته بعض الروائع الانسانية عن التركية . وخلص الى القول بان ما كتبه السيد « يكاد يعكس صورة بينة عن الواقع الاجتماعي في العراق منذ الاحتلال حتى وفاته » وانه « رائد سابق واديب الطليعة في العراق الجديد » و « هو من القلائل في عصره الذي فهم المرمى الصحيح للسياسة وكونها نهوضا عاما للمجتمع وليس نزاعا على كرسي زائل او منصب زائف او زعامة جوفاء . مثقف ملتزم يحرق اعصابه ويسهر لياليه ويضع علامات للجيل الذي عاشه والاجيال الاتية وهو وان مات في عز الشباب واوان النضوج ، يعتبر رائدا سابقا ، واديب الطليعة في العراق الجديد » .

استطاع المؤلف ان يدرس رائد القصة العراقية من خلال نتاجه ويلم باشياء جديدة لم يطرقها ناقد وبذا اسدى خدمة ثمينة للادب العربي والقصة العربية والمكتبة العربية .

بغداد — جليل ابراهيم العطية

الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني

تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩

Tél. Direct : 223819 — Dle. : 225139

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :

مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت ـ لبنان



● هندسة الانتاج ـ تأليف ايرل بكنجهام ـ ترجمة الدكتور انور محمود عبد الواحد ـ مراجعة وتقديم حسن حسين فهمي ـ مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي ـ ٤٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة الانجلو المصرية (؟) ـ مطبعة مصر (؟)

● ليلة لا تنسى : قصة غرق الباخرة « تيتانيك » ـ تأليف والتر لورد ـ ترجمة حسين القباني ـ مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي ـ ٢١٨ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار النهضة العربية (؟) ـ المطبعة العالمية بالقاهرة.

● التيارات الادبية في العراق . الزهاوي الشاعر القلق ـ تأليف الدكتور يوسف عز الدين ـ ٣٦ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات مكتبة النهضة ببغداد ـ مطبعة المعارف ببغداد .

● اناث شعب ـ مجموعة شعرية ـ علي محمد لقمان ـ الغلاف بريشة فتحي جعفر امان ـ ٩٦ صفحة ـ حجم كبير ـ مطبعة فتاة الجزيرة بعدن.

● جرار الطيب ـ مجموعة شعرية ـ سهيل ايوب ـ الغلاف بريشة عبد القادر ارناؤوط ـ ١٢٨ صفحة ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطبعة كرم ببيروت .

● الصداقة والاحتفاظ بالاصدقاء ـ تأليف وليم منتجر ـ ترجمة سامي ناشد ـ اشراف وتقديم ومراجعة الدكتور عبد العزيز القوصي ـ ١٣٦ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة مصر (؟)

● موعد مع الشدائد او الممر الشمالي الغربي ـ الجزء الثالث ـ تأليف كنيث روبرتس ـ ترجمة امينة السعيد ـ ٤٠٠ صفحة ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة .

● ما وراء المجموعة الشمسية ـ تأليف برتاموريس باركر ـ ترجمة ادوار رياض ـ ٣٦ صفحة ـ مصور ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار المعارف بمصر (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● الطيور ـ تأليف برتا موريس باركر ـ ترجمة الدكتور محمد كامل هندي ـ مراجعة الدكتور محمد صابر سليم ـ ٣٦ صفحة ـ مصور ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار المعارف بمصر (؟) ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● اضواء جديدة على الفكر الاقتصادي ـ تأليف جون كينيث جالبريث ـ ترجمة الدكتور خليل حسن خليل ـ مراجعة وتقديم الدكتور سعيد النجار ـ مصمم الغلاف محمد سليمان التهامي ـ ٣٨٤ صفحة ـ حجم كبير ـ نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين القاهرة نيويورك ـ منشورات دار المعرفة (؟) ـ مطبعة مصر بالقاهرة .

● الضمان الاجتماعي في بريطانيا ـ ١٠٤ صفحة ـ مطبعة دار الكتب ببيروت .

● امطار ـ مجموعة شعرية ـ محمد سعيد الصطار ـ الغلاف من تصميم الشاعر ـ ٥٠ صفحة ـ مطبعة وزنكغراف الرابطة ببغداد .

● الروح في الاسلام ـ تأليف ابراهيم الكواز ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات اسرة العلوم النفسية والفلك ـ مطبعة دار النذير ببغداد .

● اللؤلؤ المكنون ـ مجموعة شعرية ـ محمد غزيل ـ لوحة الغلاف بريشة هشام الفراوي ـ ١٣٠ صفحة ـ مطبعة دار الفكر بدمشق .

● الزيتون ـ مجموعة شعرية ـ صالح آدم بيلو ـ ٩٦ صفحة ـ مطبعة مخيمر (؟)

● افاعي الفردوس ـ مجموعة شعرية ـ الياس ابو شبكة ـ طبعة ثالثة ـ الغلاف بريشة سمير غنطوس ـ ١١٢ صفحة ـ منشورات دار الحضارة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● ايدي يوريديس ـ مسرحية ذات فصلين ـ تأليف بدرو بلوك ـ ترجمة عمر ابو ريشة والياس خليل زخريا ـ تقديم خليل سخط ـ ٨٠ صفحة ـ منشورات دار الحضارة ببيروت ـ (لم يذكر اسم المطبعة) .

● نداء الام ـ شعر ـ وفيق اليازجي ـ ١٠٤ صفحة ـ منشورات دار الرائد بحلب ـ مطبعة ميتم الروم الكاثوليك بحلب .

● تيارات الفكر الفلسفي ، من القرون الوسطى حتى العصر الحديث ـ تأليف انديه كريسون ـ ترجمة نهاد رضا مجاز في الادب والفلسفة من السربون ـ ٤٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع ستاركو ببيروت .

● جسر على نهر درينا ـ تأليف ايفو اندريتش ـ ترجمة الدكتور سامي الدروبي ـ مراجعة الدكتور يوسف مراد ـ ٤١٢ صفحة ـ حجم كبير ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي للجمهورية العربية المتحدة ـ منشورات دار الادباء بالقاهرة مطابع دار الكتاب العربي بمصر (؟)

● نارانا ـ مجموعة شعرية ـ الياس عطوي ـ ٢٠٠ صفحة ـ المطبعة المخلصية بصيدا لبنان .

● الخطر ـ رواية مصرية طويلة ـ تأليف فتحي الرملي ـ ٢٣٢ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات الناشر العربي بالقاهرة ـ مطابع الناشر العربي بالقاهرة .

● A New Arabic Grammar of the Written Language — by J. A. Haywood and H. M. Nahmad — 690 pages — Made and Printed in Great Britain by Percy Lund, Humphries & Co., Ltd., London.

● Ruggles of Red Sap — by Harry Leon Wilson — adapted by Lucile Durkin — 154 pages — Washington Square Press, Inc., New York.

● Washington and The Revolution — by Lynn Montross — adapted by Alethe Echols — 122 pages — Washington Square Press, Inc., New York.

● The Townsman — by Pearl S. Buck — adapted by Elinor Chamberlain — 154 pages — Washington Square Press, Inc., New York.

● Trial Judge — by Justice Bernard Botein — adapted by George J. Robinson — 136 pages — Washington Square Press, Inc., New York.

● يعكف علماء الابحاث في بريطانيا على دراسة العلاقة الممكنة بين سرطان المعدة وكمية الزنك والنحاس الموجودة في البطاطا والتربة. ويقول تقرير لجنة الابحاث في الكلية الجامعية في ويلز ان العلاقة بين سرطان المعدة والتربة التي تحتوي على معدن الزنك في بعض انحاء بريطانيا يمكن تكييفها ببعض الطرق بواسطة كمية النحاس الموجودة في التربة ذاتها وجاء في التقرير ان عدة وفيات بداء سرطان المعدة قد حدثت في معظم المناطق التي تحتوي تربتها على نسبة زائدة من معدن الزنك .

● من المنتظر ان تسفر الابحاث التي يجريها حاليا مجلس الابحاث الطبية البريطاني عن اكتشاف الطرق والوسائل لمعالجة مرض الانيميا (فقر الدم) والوقوف على اسباب اضطراب الاعضاء الحية التي في بعض الحالات تتحول الى سرطان خبيث .

● سمح الان باستعمال نوع المصل الثالث للوقاية من مرض شلل الاطفال ، وهو نوع

رسالات خاطئة يوجهها الدماغ

توجد فئة من الناس تظهر عليهم عوارض مشابهة لهذه الالام ، دون ان تكون لذلك اسباب ظاهرة . وهذه الفئة هي ممن يقل لديهم التوازن في الجهاز العصبي النباتي . وتقوم بعض مراكز الدماغ في هذه الحالة ، على ما يعتقد ، بتوجيه رسائل عصبية خاطئة تحدث تأثيرات على الاعصاب المؤدية الى العضلات . وبسبب ذلك خللا في تمثيل الجير في العظام ، فاما ان يتجمع الجير في مفصل الكتف ، او انه يقل في المرفق فيؤدي الى احداث الالام المبرحة .

ويقوم الطبيب في هذه الحالة بوصف لبخات البارافين لتدفئة اماكن ظهور الالم ، علاوة على الموجات القصيرة وموجات اشعة ما وراء الصوت . وينجح الطبيب احيانا في ازالة الالم بعد حقن المريض بمخدرات او هورمون الكورتيزون . وعلى كل فيجب عدم تعريض الساعد للاعمال المرهقة .

ويمكن معالجة تلك الالام بواسطة الاشعة السينية ، فيبقى مفعولها مدة طويلة . ولا يتناول تأثيرها اوتار العضلات التي يكمن فيها الالم وحدها فقط ، بل الجهاز العصبي النباتي ايضا . واذا ما اعتقد الطبيب بان الالم يعود الى فقرات الظهر الواقعة في قسم الرقبة ، فانه يصف للمريض التدليك وشد الفقرات عن بعضها . وتعمل الادوية التي تدخل التوازن على الجهاز العصبي النباتي عملها الحاسم في سبيل الشفاء ايضا . وعلى المريض في هذه الحالة ان يساعد الطبيب في الجهود التي يبذلها في شفاء الجهاز العصبي النباتي واعادته الى توازنه الطبيعي.

في كلمات...

يجرع عوضا عن استعماله بطريقة الحقن . وقد قامت السلطات الصحية في امريكا بمنح حق انتاج هذا العلاج لمختبرات ليدرله الامريكية ومصانع فيتسه البريطانية .

● تقول كلية طب الاسنان التابعة لجامعة هارفرد انه صار باستطاعة المرضى المصابين بداء الهيموفيليا (عدم تجمد الدم) ان يجروا عمليات خلع الاسنان بدون التعرض الى نزيف قوي خطر ، وذلك باستعمال دواء جديد اسمه بريدنيزون . وقد استعمل الدكتور نورمن تريفر هذا الدواء مع البلازما التي أعطيت لـ ٢٣ مريضا بدلا عن الدم الذي خسروه خلال العملية . هذا ولم تحدد بعد المراجع الطبية كيفية عمل البريدنيزون لحمل الدم على التجمد وايقاف النزيف .

● اعلن مجلس الابحاث الطبية البريطاني ان الدماء المأخوذة من اناس في افريقيا الغربية لديهم مناعة قوية ضد الملاريا يمكن ان تحقن في اناس من افريقيا الشرقية لديهم مناعة ضعيفة ضد هذا المرض . وقد جاء هذا الاكتشاف نتيجة للابحاث التي اجراها العلماء في المختبر التابع لمجلس الابحاث الطبية في غامبيا والتي اظهرت ان مادة البروتين في الدم المعروفة باسم غاما غلوبولين تقي الانسان ضد ميكروبات الملاريا . وتدل الابحاث على ان المناعة ضد الملاريا يمكن ان تنتج عن العناصر الموجودة في الدماء التي تستطيع القضاء على ميكروبات هذا المرض . واذا كان هذا هو الحال فان التطعيم ضد الملاريا يصبح امكانية نظرية .

● جرى اخيرا في مدينة مونيخ عقد مؤتمر لامراض المعدة والاحشاء ، وكان من اهم المواضيع التي تناولها في مناقشاته موضوع بعض الادوية التي تسبب في الجسم عوارض شبيهة بعوارض مرض اليرقان . وهذا النوع من اليرقان الذي يتجمع فيه سائل المرارة في المجاري الضيقة ينشأ في الدرجة الاولى من تناول بعض المسكنات. وقد اشار الاخصائيون بالجهاز الهضمي ، بان تشخيص هذا المرض على حقيقته يعتبر على جانب كبير من الاهمية بالنسبة للمصابين ، اذ ان العوارض التي تبدو عليهم بعد تناول المسكنات المذكورة ، تشابه عوارض انسداد مجاري المرارة بواسطة الحصى التي يقتضي ازالتها بواسطة الجراحات .

● في تقرير نشر في مجلة الجمعية الطبية الامريكية قال الدكتور والتر هارولد ان التجارب دلت على أن استخدام عقار مستخرج من الاستروجين ، وهو هرمون انثي ، يساعد على تخفيف افرازات الفدد الدهنية في الجلد وبالتالي على تخفيف حب الصبا . والعقار الجديد يخفف نشاط الفدد الدهنية وحري بالدراسة والملاحقة . ويقول الدكتور هارولد ان تجاربه الاولية اجريت على ١٧ شابا وعشر صبايا واستمرت عدة اشهر . وكانت النتائج ان ثلاثة لم يستجيبوا مطلقا للعلاج بينما ظهرت على الاكثرية بوادر تحسن تتراوح بين درجة التحسن المتوسط والممتاز .

● تمكن البروفسور هاينرش ثيله من تفسير طريقة تركيب العظام وانتاج عظام صناعية ومواد لطبابة الاسنان . والبروفسور ثيله عالم كيميائي في جامعة كيل ، ولبحوثه واكتشافه اهمية كبرى في العلوم الطبية والبيولوجية والتكنولوجية . وقد تمكن ثيله من صنع اجزاء الاسنان بصورة تحاكي الطبيعة تماما ، وذلك بتركيبها من خلائط المواد الفروية والكالسيوم واملاح الرصاص . وباستطاعته ايضا ، بواسطة الطرق الخاصة التي تم اكتشافها ، ان يذيب العدسة البلورية لعين البقرة ، وتركيب عدسة جديدة بدلها . ويعني كل هذا ، امكان تركيب عدسات بلورية صناعية من المواد الطبيعية .

● يستعين الدكتور رودال من جامعة ليدز بخلايا الدبابير في اجراء الدراسات على الانسجة في جسم الانسان . ويبدي الدكتور رودال وزملاؤه اهتماما بالفدد التي تكون نسيجا حريريا في الدبابير . فهي تفرز مادة معينة لاغلاق ابواب خلاياها ، وهذه المادة بالذات هي ذات اهمية كبرى في بساطة تكوين الدبور الجزئي ومن شأن هذه الدراسات ان تساعد كثيرا على تفهم خصائص الانسجة في جسم الانسان .

● طور العلماء في مركز للابحاث الطبية في لندن انبوبا يفرز في جمجمة الحيوان دون ان يحدث ألما او انزعاجا وذلك لحقن العقاقير او وضعها في مكان الدماغ المطلوب فحصه . وقد اكتشف مركز الابحاث ان تأثير العقاقير اذا ما وضعت مباشرة على الدماغ يختلف عن تأثيرها اذا ما حقنت في انحاء الجسم الاخرى . وبديهي ان هذه الطريقة مفيدة جدا لمعرفة فعالية المواد الكيماوية وتأثيرها على بعض الامراض العقلية .

● ابلغ المؤتمر الدولي الثامن لمكافحة السرطان الذي عقد في موسكو بان الماء « الثقيل » الذي استخدم في صنع القنابل النووية الاولى قد يساعد في مكافحة السرطان. وقال تقرير اعده ثلاثة علماء اميركيين ان ما ظهر من تورم في بعض الفئران تقلص لدى

اعطاء هذه الحيوانات ماء ثقيلا . ويؤكد هؤلاء ان استعمال الادوية المضادة للسرطان سيكون اكثر فعالية اذا استخدم معه الماء « الثقيل ».

● انتقد د. هـ. كونن في مجلة « الاكلينيك الطبي » استخدام عقار « اللوبلين » الذي بدأت تقدمه الحكومة الانجليزية للاهالي مجانا، لكي يساعدهم على الاقلاع عن التدخين . فقد تبين من البحوث التي اجراها في معهد التجارب العلاجية في مدينة فرايبورج بأن « اللوبلين » لا يقل تاثيره على القلب والدورة الدموية عن تأثير النيكوتين نفسه اذا ما اخذ بكميات كبيرة حتى يحدث مفعوله في الاقلاع عن التدخين .

● صنعت احدى الشركات البريطانية آلة جديدة لحفر الاسنان لا يزيد وزنها مع المحرك الذي يديرها على بضعة غرامات . وهي مزودة بمثقب لا يحدث اية اهتزازات في اثناء عملية حفر السن . ويمكن ادارة الالة بسرعة او ببطء حسب الضرورة .

● يجري الان في بريطانيا انتاج اسرة للنوم خاصة بالمستشفيات يستطيع بها النائم ان يحرك ويوجه القسم الواقع اسفل الظهر او اسفل القدمين كما يشاء ، كما يستطيع رفع مستوى السرير نفسه او خفضه او توجيهه كما يشاء ، وبسهولة ونعومة تامتين عن طريق محرك كهربائي صغير مرتبط بالسرير . وتستخدم هذه الاسرة للمرضى وللممرضات على السواء .

● وضع ارماييس بايبورتسيان البروفسور في معهد الطب البيطري في يريفان طريقة لخصي الحيوانات الداجنة تزيد انتاجيتها من اللحم والصوف ١٠ الى ٢٥ بالمائة . وذهب العالم الارمني الى رومانيا حيث اطلع مربي الدواجن والاطباء البيطريين على طريقته. وهو يقدم الان نصائح خطية لمربي الدواجن في مختلف انحاء العالم .

● صنعت احدى الشركات البريطانية المنتجة لعلف الحيوان مجموعة جديدة من المواد المغذية للحيوانات . وقد ثبت ان الابقار التي تتغذى بها تدر كميات اكثر من الحليب. وقد جاء صنع هذه المواد بعد سلسلة من الابحاث تبين من نتائجها ان تخفيض كمية البروتينات وزيادة العناصر المغذية والمقوية في علف الحيوان يفيد المواشي اكثر من الناحية الغذائية ويزيد في انتاجها للحليب .

● اقرت اللجنة الاوروبية للحمى القلاعية التي تصيب المواشي والمجتمعة في روما ان العلماء البريطانيين كانوا اول من اكتشف الفيروس الذي يسبب هذه الحمى والتي تودي بحياة الالوف من رؤوس الماشية في الشرق الاوسط . ويهدد هذا المرض الان المواشي في اوروبا ، بعد ان وصل الى تركيا. وقد صرح الدكتور ج. ب. بروكسبي ، رئيس معهد ابحاث امراض الحيوان في كلية بيربرايت في سوراي بانكلترا بأن علماء المعهد اكتشفوا الفيروس في اوائل هذا العام من عينات من الحيوانات المصابة بهذا المرض جلبوها من العراق والخليج ولبنان والاردن وسورية . وقال ان المعهد قد تمكن من تحضير مصل واق ضد هذا المرض جرب بنجاح على حيوانات مصابة به في جنوب غربي افريقيا .

● تمكنت شركة اميريكان سيناميد من التغلب على احدى الصعوبات الرئيسية في مكافحة المناعة التي يكتسبها بعض انواع الذباب ضد مبيدات الحشرات كال د.د.ت. فقد انتجت الشركة المذكورة مادة جديدة تدعى دايميثوات وضعتها تحت تصرف المزارعين واجهزة الصحة العامة . وتأمل ان تجعلها في متناول الجمهور في نهاية هذا العام .

● قال انطوني باربر السكرتير المالي للخزينة البريطانية ان الحكومة البريطانية تنفق ٤٠٠ مليون جنيه استرليني سنويا على الابحاث العلمية وتطويرها . ويبلغ ما تنفقه الحكومة على الابحاث المتعلقة بالصحة والطب وما تقدمه من مساعدات للجامعات للابحاث ١٥ مليون جنيه في السنة .

● تقرر انشاء محطة للطاقة الذرية لتوليد الطاقة الكهربائية على نطاق تجاري بالقرب من المحطة التي يجري انشاؤها الان في هنكلي بوينت في غرب انكلترا . وسيكون باستطاعة هذه المحطة توليد ٥٠٠ ميغاواط من الكهرباء ومن المنتظر ان تباشر عملها في نهاية عام ١٩٦٩ .

● بدأت ثالث محطة نووية اميركية في الاسكا عملها الان وهي تابعة للجيش الاميركي وتقع في فورت غريلي المنعزلة . وتولد هذه المحطة ٤٠٠٠ كيلوواط من القوة الكهربائية التي يستخدم نصفها للتدفئة . وتكفي المنشآت لسد حاجة جالية عدد افرادها حوالي ٣٠٠٠ شخص . ويعتقد الخبراء ان المحطة ستوفر معلومات ثمينة عن استخدام الطاقة النووية في المناطق البعيدة .

● صرح الكابتن بوث المهندس المسؤول عن مشروع الاقمار الفضائية في لندن ان عمل محطة كورنيل باستعانتها بالجرم الاميركي تلستار فاقت ما كان يؤمل منها وان هذه التجربة تشكل الاسس لمشاريع المستقبل. وقد برهنت النتائج على ان مثل هذه الاجرام يمكن ان تنقل عددا كبيرا من المكالمات التلفونية والتلغرافية وتقوم ايضا بنقل برامج تلفزيونية متعددة . واضاف الكابتن بوث انه على الرغم من ضرورة القيام بدراسات كثيرة ، فان نظام استعمال اجرام المواصلات الفضائية سيتم ولا شك قبل انتهاء القرن الحالي . وقال المستر جون براي ، عضو لجنة المواصلات بواسطة الاجرام الفضائية في دائرة البريد البريطانية انه يأمل استعمال الاجرام لنقل ٦٠٠ مكالمة تلفونية في آن واحد .

● نجحت في الشهر الماضي تجربة اطلاق صاروخ لبناني بطبقتين يدعى « الارز ٢ (ث) » نجاحا تاما . فقد ارتفع الصاروخ الى علو ١٦ كيلومترا وذهب الى مدى ٢٥ كيلومترا بسرعة ٢٥٠ مترا في الثانية للطبقة الاولى و ٦٠٠ متر في الثانية للطبقة الثانية . وبهذه التجربة الناجحة تختتم سلسلة تجارب صاروخ الارز ٢ وقد شملت ١٦ صاروخا ، وستبدأ سلسلة تجارب جديدة للصاروخ الارز ٣، وهي تختلف تماما عن التجربة الاخيرة ، اذ ستكون الصواريخ اضخم وستنطلق الى مسافات تتراوح بين ١٠٠ كلم و ١٠٠٠ كلم ، وذلك بعد ان نجحت عملية القذف وعملية فصل الطبقات ، وهي العملية التي تعتبر ركيزة هامة لاطلاق الصواريخ الضخمة .

● اطلقت روسيا في ١١ الشهر الماضي سفينة فضائية تحمل اسم فوستوك الثالثة وتولى قيادتها الميجر اندريان نيقولاييف . والغاية من هذه الرحلة هي دراسة المزيد عن تاثير الرحلات الفضائية الكونية على الخلايا الحية البشرية . وبعد مرور ٢٤ ساعة اعلنت روسيا انها اطلقت سفينة رابعة يقودها بافيل بوبوفتش . وان الغاية من اطلاق سفينتين في الفضاء في مدارين متجاورين هي الحصول على معلومات خاصة بامكانيات اقامة اتصال مباشر بين السفينتين وقد نجحت هذه العملية وتم الاتصال بينهما . وقد عاد الفضائيان وهبطا قرب المكان المعين بعد ان اكمل نيقولاييف ٦٤ دورة حول الارض وقضى اكثر من اربعة ايام في الفضاء ، بينما دار بوبوفتش ٤٨ دورة وقضى في الفضاء اكثر من ثلاثة ايام .

● ابتكرت شركة منتجات اللزاق الاميركية في مدينة نيويورك لزاقا جديدا مقاوما للحرارة الشديدة ، اطلق عليه اسم تيرموستيكس . وهذا اللزاق يمكن استخدامه للصق قطع الفولاذ والنحاس والالومنيوم والزجاج والفخار وغيرها . وقد استخدم بنتائج ناجحة جدا واستطاع ان يقاوم حرارة بلغت ٢٠٠٠ درجة فهرنهايت ويستعمل بواسطة الفرشاة او المرشة وينشف بسرعة لدى تعريضه للهواء .

● صنع علماء معهد التعدين بايكوف ومعهد الفيزياء ليبيديف لدى اكاديمية العلوم السوفياتية مغناطيسا فريدا شديد الايصالية.

هذا الجهاز الذي يزن ٢٥٠ غراما يوجد حقلا مغناطيسيا جبارا من ٤٥ الف غوس وهو يعادل بشدته مغناطيسا كهربائيا من الطراز العادي يزن ٢٥ طنا .

● انتجت شركة بل تلفون الامريكية جهاز استقبال مزود بوسيلة خاصة لتقوية او تخفيض الصوت بادارة زر صغير ، ويمكن وصل الجهاز باي جهاز هاتفي حديث . وقد صمم خصيصا للذين يشكون نقصا في السمع بحيث يستطيعون ضبط الصوت حسب حاجتهم . اما اصحاب السمع الطبيعي فبامكانهم استخدام الجهاز ايضا . فاذا كان الصوت قويا فما عليهم الا تخفيضه .

● ثمة آلة اوتوماتيكية جديدة ركبت في مركز البريد في لندن تستطيع فرز الرسائل عن الرزم وكذلك فصل الرسائل الطويلة عن القصيرة بسرعة تصل الى ٦٠ الف رسالة في الساعة . وهنالك آلة جديدة تعمل حاليا في مركز البريد ذاته وتستطيع معرفة ما اذا كان الطرد رسالة أم مطبوعة وتفرز هذه عن تلك ، وترتب الرسائل بعد ذلك بحيث تكون الطوابع على الجهة نفسها والعناوين كذلك ، ومن ثم تقوم بختم هذه الطوابع والغائها .

● أجريت تجارب ناجحة على شاحنة تجريبية من صنع اسرة مصنع سيارات الاورال . يمكن للشاحنة الجديدة ان تحمل ١٨ طنا وتنطلق بسرعة ٧٠ كيلومترا في الساعة . ويسمح المحرك الذي قوته ٦٠ حصانا بخاريا بجر مقطورة من ١٠ اطنان ونصف الطن .

● انتجت المختبرات التابعة لسلاح البحرية الامريكية نوعا جديدا من القماش ممزوجا بمادة بلاستيكية لها صفات المطاط، تصنع منه بدلات البحارة . والقماش الجديد مصمم لتخفيف خطر الغرق . وهو لا يحل محل معطف النجاة بل يساعد لابسه في البقاء عائما على وجه الماء فترة طويلة من الوقت .

● بدات طائرة « بوكانير » عملها مع وحدات الاسطول البريطاني ، وتبلغ سرعتها ٩٦٠ كيلومترا في الساعة . وهذه سرعة تجعل من المستحيل على اجهزة الرادار اقتفاء اثرها، وقد اجريت تجارب واسعة النطاق على الطائرة تعرضت خلالها لاقسى الظروف العملية ، واسفرت عن نجاح باهر . وباستطاعة الطائرة حمل الاسلحة العادية والنووية وهي مزودة بجهاز يمكن بواسطته تزويدها بالوقود في اثناء طيرانها .

● انتجت شركة فاشا الامريكية جهازا اطلق عليه اسم «الواقي من الوهج» يشبه النظارات العادية ويخفض الى حد كبير وهج مصابيح السيارات في عيون السواقين . والاختراع الجديد يخفض وهج تلك المصابيح العالية في السيارات بمعدل ٩٧ بالمئة . مما يخفض بعض الاصابات والحوادث الخطيرة التي تنجم عن تعذر الرؤية على السائق عندما يواجه انوارا قوية .

● تمكن ٦ عمال من اقامة منزل مؤلف من ٦ غرف في مدينة هانسلو بالقرب من لندن في يوم واحد . وهذا هو اول منزل من نوعه في بريطانيا يبنى باستخدام قوالب جاهزة من الاسمنت كبيرة الحجم . وتقول الشركة التي تصنع هذه القوالب ان استخدامها في بناء المنازل يوفر ثلث الوقت الذي يتطلبه البناء بالطرق التقليدية المألوفة كما يوفر كثيرا في التكاليف . وفي الامكان بناء شقق كاملة في بناية مكونة من ٧ طبقات او اكثر ، من ٢١ قطعة من القوالب الجاهزة الصنع مع النوافذ والابواب والجدران ، والارضية والسقوف .

● ستعرض في معرض الطيران بانكلترا ، طائرة مزودة بجهاز هبوط اوتوماتيكي . يمكن قائد الطائرة من الهبوط بطائرته بطريقة اوتوماتيكية في جميع الاحوال الجوية . وذلك عن طريق جهاز نظري يصدر اشارة ضوئية في مقصورة قائد الطائرة اذا كانت طائرته لا تتقيد تماما بالتعليمات التي يتلقاها بطريقة الكترونية من محطات المراقبة الارضية في المطارات .

● صنعت احدى الشركات البريطانية المنتجة لمواد الطلاء والدهانات مادة يمكنها اعادة اللون الاصلي الى خشب الارز اذا ما عولج بها . وتقول الشركة ان هذه المادة تستخدم في نواح كثيرة في حقل البناء . ويمكن استخدامها في طلاء انواع مختلفة من الاخشاب لتعيد اليها لونها الطبيعي .

● يحيطنا الفلك ببساط من النجوم المتألقة، فيكون صورة بديعة تؤلفها مليارات النجوم التي تظهر قريبة منا ، ولكنها في الواقع تبعدنا مئات السنوات الضوئية . ان هذا الفلك اللانهائي هو منبع الاشارات الضوئية الغامضة التي لم يتمكن احد من تبيانها وتاويلها حتى اليوم . فهل هي مجرد اشعاعات فضائية لا ضرر منها ؟ أم ان هناك حضارات متقدمة تود ان ترسل لنا رسائل ذات مغزى معين ؟ ان العلماء مقتنعون بأن هناك احياء عاقلة في الاجرام الكونية البعيدة ، وهم يحاولون الان برهنة هذه النظرية . وهدفهم هو « انشاء جسر لايصال الاشارات والاتصال بالكواكب المأهولة ! » يتقلص فجأة وجه الشخص الجالس امام جهاز الاستقبال، وتظهر فوق شاشة جهاز « الاوسيلوغراف » بضع اشارات ضوئية ويعلو من المذياع نغم صافرة معدنية ، وسرعان ما يتنظم النغم ليصبح ذبذبات صوتية منتظمة . رسالة بالراديو من الكون ! وقع نبأ استقبال مرصد في اوستراليا لاشارات لاسلكية على الموجات ٢٠٠ و ٦٠٠ كيلوسايكل من كوكب المشترى ، وقع هذا النبأ على اوساط المختبرات الفلكية وقوع الصاعقة . اذ ان ذلك يؤيد ما يدعيه الكثير من العلماء منذ امد بعيد ، عن وجود احياء مفكرة في الكواكب الكونية ومحاولتها الاتصال بنا بصورة من الصور الممكنة . وفي ٢٣ اغسطس ١٩٢٤ تمكن مرصدا « لندن » و « فانكوفر » في الولايات المتحدة من استقبال اشارات غريبة تشبه التنقير على النغمة العميقة في آلة البيانو . ولم يستطع الناس انذاك حل الشفرة لهذه البرقية الكونية بصورة صحيحة . ولكن المراكز الرئيسية للمراصد لم تفقد الامل . ويعتقد المسؤولون اعتقادا وثيقا بوجود مخلوقات في الفضاء تحاول الاتصال بالمخلوقات الاخرى . وقد قال العالم الفلكي « فون هورنر » في هايدلبرج مؤخرا : « انه من البلاهة بمكان ، ان نعتقد باننا الاحياء العقلاء الوحيدون في هذا الكون » ! !

● ذكر ان علماء الفضاء البريطانيين يبدون اهتماما بصورة التقطها في موسبورو بمقاطعة دار بيشير صبي عمره ١٤ سنة لما يعتقد بانه « صحون طائرة » . وبلغ اهتمام وزارة الجو بالامر حدا طلبت معه رؤية النسخة السلبية للصورة الفوتوغرافية ووصف الصبي ما شاهده كما يلي « لقد كانت تلك الاشياء محلقة في الجو على علو حوالي ٥٠٠ قدم . ولم تكن تتحرك كما انه لم يصدر عنها اي صوت . وقد كانت تبدو حيوية جدا . وفجأة بدت وكان نقاطا بيضاء اخذت تخرج منها ثم اختفت » .

● اعلن جيورجي روزنبرغ عالم الطبيعيات السوفياتي ان جميع المعلومات المعروفة حاليا عن كوكب الزهرة هي معلومات خاطئة وقال : ان تفاعل اشعة الشمس مع المجال المحيط بكوكب الزهرة وتأثر هذه الاشعة بخصائص هذا المجال يؤدي الى وقوع العلماء في اخطاء عندما يحللون اشعة الشمس المنعكسة على هذا الكوكب لمعرفة خصائصه . وذكر ان الابحاث التي اجراها على هذا الاساس اثبتت ان السحب التي تحيط بكوكب الزهرة خالية من بخار الماء . واقترح دراسة مدى اختلاف تأثر الضوء باختلاف المجال الذي يخترقه .

● اعلن اثنان من علماء الفلك الامريكيين انهما قد اكتشفا بعض الادلة على ان الغلاف المحيط بكوكب زحل يحتوي على الهيدروجين. وقالا ان العواصف الهوجاء قد تكون السبب في وجود الاحزمة القاتمة التي تحيط بهذا الكوكب .



دور المجلة الادبية في النهضة الفكرية

في تاريخ الصحافة العربية معالم فكرية وضاحة لا يسع باحثا ان يغفلها نظرا لما خلفته من اثر عميق في وجدان العرب وتفكيرهم ، ولما اثمرته من وحدة ذهنية تلقائية سبقت كل دعوة سياسية او مذهبية . فقد قامت « المجلة الادبية » على توالي العصور وتعدد الاسماء بمهمة مقدورة عز على غيرها من الوسائل الاضطلاع بمثلها ، فاحدثت دويا في العالم العربي وخلفت وعيا جديدا في الامة العربية ، وانشأت تجاوبا بعيد الاثر بين المفكرين العرب وخدمت الثقافة والفكر والعروبة خدمات باقية خالدة ، حتى وان احتجب معظم ما صدر من تلك المجلات النفيسة منذ اواخر القرن الماضي والى يومنا هذا .

وان محاولة احصاء هاته المجلات تعيى كل من ينبري لهذه التبعة ، نظرا لكثرتها واندثار طائفة غير قليلة منها . ولكن اسماء بعضها ما برح عالقا في الذهن ، نسرده في غير ترتيب على سبيل التمثيل . فمن هاته المجلات « الجنة » و « الجنان » للبستاني « والمقتبس » لمحمد كرد علي و « روضة المدارس » لعلي مبارك و « لغة العرب » للاب الكرملي و « المقتطف » ليعقوب صروف ومن بعده لفؤاد صروف و « البيان » لليازجي و « البيان » للبرقوقي و « الهلال » لجرجي زيدان و « المجلة المصرية » و « الجوائب المصرية » لخليل مطران و « الجوائب » للشدياق « والعصور » لاسماعيل مظهر و « الجامعة » لفرح انطون و « المنار » لرشيد رضا و « الزهور » لانطون الجميل وامين تقي الدين و « السياسة الاسبوعية » لهيكل و « المستقبل » و « المجلة الجديدة » لسلامة موسى و « الظاهر » لاحمد ابي شادي و « ابولو » للدكتور احمد زكي ابي شادي و « مجلتي » لاحمد الصاوي محمد و « السيدات والرجال » لنقولا الحداد وروز انطون حداد و « العرفان » لاحمد عارف الزين ومن بعده لنزار الزين و « الرسالة » لاحمد حسن الزيات و « الكاتب المصري » للدكتور طه حسين و « الثقافة » للدكتور احمد امين و « مجلة علم النفس » للدكتورين يوسف مراد ومصطفى زيور و « الكتاب » لمحررها عادل الغضبان « والمشرق » للويس شيخو و « الناشر المصري » لمحمد عبد الغني حسن و «الراوي الجديد» لمحمود سمهان و «الرسالة» اللبنانية لمحررها جان كميد و « القلم الجديد » لعيسى الناعوري و «العصبة الاندلسية» في البرازيل لمحررها حبيب مسعود و «السمر» النيويوركية لايليا ابي ماضي و « الحديث » لسامي الكيالي و « صوت البحرين » لابراهيم حسن كمال و « البعثة » لزكريا الانصاري وغيرها من المجلات التي تقادم العهد على صدورها .

وهناك مجلات ادبية ما زالت تؤدي رسالتها في خدمة الضاد والعروبة والفكر الانساني الناضج في طليعتها « الاديب » اللبنانية لمحررها الشاعر الموهوب البير اديب و «الضاد» لعبد الله يوركي حلاق و « المنهل » لعبد القدوس الانصاري و «الادب» لامين الخولي و «الفكر» التونسية لمحمد مزالي و « الاداب » لسهيل ادريس و « المعارف » للخليل و « شعر » ليوسف الخال و « اللفات » التونسية لاحمد بلخوجة وعادل نويهض و « الافق الجديد » لامين شنار و « الوعي » لصلاح الدين خورشيد و « العربي » للدكتور احمد زكي و « العلوم » اللبنانية لمنير البعلبكي و « المراحل » لتوفيق صنعون و « المجلة » لمحررها الدكتور علي الراعي و « الشهر » لسعد الدين وهبه و « عالم المكتبات » لحبيب سلامه و «الثقافة» لمدحت عكاش و « مجلة مجمع اللغة العربية » ويشرف على تحريرها الاستاذ زكي المهندس و « مجلة المجمع العلمي » ويشرف على تحريرها العلامة الامير مصطفى الشهابي ومجلتا « الورود » و « الحكمة » اللبنانيتان و « الابحاث » لمحررها الدكتور فؤاد صروف ومجلة « التربية الحديثة » لمحررها الدكتور امير بقطر و « الكاتب » لمحررها احمد حمروش وغيرها وغيرها مما يتعذر حصره .

فعلى صفحات هاته المجلات اصطرع الفكر العربي بالثقافات المختلفة واستصفى لنفسه على توالي العهود والحقب معاني ومقاييس ومستويات وفلسفات ومذاهب ذابت في الشخصية العربية المعاصرة واسهمت في تكوينها وادت الى تعميق الوجدان العربي وعززت العرى الفكرية بين ابناء العروبة في اوطانهم ومهاجرهم . فالشعراء تغنوا بمناقب العرب وتعللوا بآمالهم مبشرين مروجين على صفحات هاته الدوريات الادبية العظيمة . والعلماء ناقشوا كل جديد في باب العلم محاولين تقريب النظريات الوافدة الى الجمهور القارىء ، معاونين على وضع المصطلحات العربية التي تؤدي المعاني العلمية اداء دقيقا . ورجال الفلسفة سطروا الافا من الفصول العميقة في المفاضلة بين النظريات الفلسفية وفي احياء امجاد الفلاسفة العرب القدامى . ورجال التربية تباروا في معالجة قضايا التربية على نطاق عربي شامل في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة في العالم ورجال الاجتماع والاقتصاد حللوا مشكلات المجتمع وقضايا الاقتصاد واشاعوا في القارئين وعيا جديدا . ورجال الدين وفقوا بين مطالب العصر ومبادىء الدين ونادوا بالتحرر من الجمود . والمصلحون الاجتماعيون عملوا على تحرير المراة ونبذ العادات المرذولة ومقاومة التخلف . فبفضل هاته المجلات الادبية القليلة على كثرتها ، تعارف ابناء العالم العربي الواحد ، وتآلف رجال الفكر والقلم ، وتبارى رجال العلم والفن ، وارتفعت الاقلام في وجه كل استغلال واستبداد وانحراف حتى صارت هاته المجلات تراثا يباهى به العرب في جميع عصورهم ، ومن يرجع اليها اليوم يجدها دائرة معارف حية ، قد تبلى بعض موضوعاتها ، ولكن الروح القومية المتأججة التي شاعت فيها ما برحت شديدة اللمعان .

ومما يؤسف له ان الكثرة الغالبة من ابناء الجيل المعاصر تجهل الكثير من امر هاته المجلات النفيسة وليت جهدا يوجه الى جمع مفرداتها لتكون في متناول الباحثين في دار الكتب ، بل ليت جهدا يبذل في احياء هاته المجلات بنشرها في مجلدة واحدة او مجلدات يستعين بها الجيل الجديد على معرفة معالم نهضته الفكرية التي يجني اليوم ثمارها . فهذه مجلات خوالد ، وستبقى اسماء ناشريها مضيئة في وجدان العرب حية في قلوبهم وافئدتهم .

القاهرة (وطني)

•

مقال في « الاديب » ينقل الرصافي الى الرفاه

كان السيد مهدي مصطفى القزاز مدير تحرير مجلة (المكتبة) قد نشر في العدد التاسع من السنة الثالثة في مجلة (الاديب) البيروتية (ايلول ١٩٤٤) مقالا بعنوان (الشاعران الرصافي والجواهري في مساجلة شعرية طريفة) تردد صداه في جميع البلاد العربية ونقلته بعض صحفها الكبرى . وقال عنه الدكتور طه حسين - وكان وقتئذ يصطاف في لبنان - ان مقال الاستاذ مهدي القزاز هو احسن موضوع

قرأته في عدد (الاديب) وقد نشرت جريدة (البلاد) لصاحبها الاستاذ رفائيل بطي هذا التقدير الذي خصه الدكتور طه حسين بالاديب العراقي السيد القزاز .

هذا ما كان من تاثير هذا المقال على الصعيد الصحفي ... اما ما كان له من تاثير عملي بالنسبة للشاعر الرصافي فلم يكن يعرف عنه أحد شيئا الى ان كشف ذلك كتاب نشر حديثا بعنوان : (صفحات من حياة الرصافي وادبه) لمؤلفه الاديب العراقي المعروف الاستاذ هلال ناجي صدر بالقاهرة كشف فيه عن امور كانت مجهولة بطلها هذا المقال الذي طور حياة الرصافي من البؤس الى الغنى ومن الفقر الى العيش الرافه .

يقول الاستاذ هلال ناجي في الصفحة ١٨ من الكتاب في الفصل المعنون : (الرصافي ومظهر الشاوي) حدثني المرحوم مظهر الشاوي سنة ١٩٥٧ وكنت وكيلا عاما عنه عن تفاصيل صلته بالرصافي الخالد . قال انه ـ اي الشاوي ـ كان معتقلا في العمارة سنة ١٩٤٤ فصادف ان قرأ مقالا كتبه الاديب العراقي السيد مهدي القزاز في مجلة (الاديب) البيروتية . وقد وردت في المقال عبارات تنم عن مقدار الفاقة المزرية التي تحيط بالرصافي العبقري وانه فيما روى الكاتب كان يتوكأ على عصا من (جريد) النخل قال الشاوي : فاقشعر جلدي ووقف شعر رأسي وخجلت ان تكون في العراق خمسة ملايين نسمة وفيهم شاعر واحد ويعجزون عن اعاشته ، فكتبت من فوري الى وكيلي في مزارعي الملا عبد الهادي طلبت منه فيه ان يبتاع ثلاث كسوات عربية كاملة وان يصنع للرصافي (مخصرة) من الابنوس مفضضة ويطعمها بالذهب ويكتب عليها انها هدية الشاوي لصديقه الرصافي .

يقول الشاوي : وتم ما اردت فشكرني الرصافي بقصيدة ثم خصصت له راتبا شهريا قدره اربعون دينارا عراقيا ظل وكلائي يدفعونه له .

ثم قصدت كاتب العدل فاوصيت ان يستقطع من تركتي هذا المبلغ شهريا ويدفعه الى الرصافي ما دام حيا اذا عاجلتني المنية قبله . ولكنه انتقل الى رحمة ربه وانا لا ازال رهين المعتقل .. »

ثم يقول الاستاذ هلال ناجي مؤلف الكتاب : « هذا ما حدثني به المرحوم الشاوي وابرز الى الرسائل التي دارت بينه وبين وكيله ثم بينه وبين الشاعر الرصافي وصلته به ... وهي صلة اساسها مقال لاديب عراقي نشرته مجلة لبنانية » .

ان السيد القزاز ليفخر بأن مقاله هذا كان له مثل هذا الاثر في حياة الشاعر الرصافي وفي ايامه الاخيرة خاصة حيث نعم بالاستقرار والراحة والهدوء .

بغداد (المكتبة)

مراد ابو ماضي

نص الكلمة المؤثرة التي رثى بها الاديب الراقي ميخائيل مرهج المقيم في ميامي فلوريدا ، صديقه الكاتب المرحوم مراد ابو ماضي :

نام العليل فلا هم ولا وصب ... نام ابن ماضي والقى حمله التعب
نم يا اخا الروح نوم الهانئين فقد ... اراح قلبك من آلامه العطب
ان الديار التي فارقتها عدم ... والعامرات التي غادرتها خرب
والدار قفر واوقات الصفا نكست ... اعلامها وقوافي الشعر تنتحب
مذ يتم الشعر ايليا وقد طويت ... معالم الوحي آيا كلها عجب
ان «الجداول» جفت بعد مصرعه ... والآل والصحب والاحباب قد نكبوا
باتت « خمائله » صفراء ذاوية ... والروض بينهما حيران مضطرب
و « للسنابل » اوراق مبعثرة ... كأنما شب في اعراقها لهب
ابكيك والدمع من قلبي اصعده ... تبكي المحابر والاقلام والكتب
يا وحشة الدار حالت حالها وغفت ... عين الحبيب وغاب الانس والطرب

مصاب حل في ميامي فاهتز له عالم الأدب . ورزئت اللغة العربية بفقد جندي من جنودها الاوفياء فانكسر القلم ، وناحت البلاغة وولول النثر وبكت العيون . وستبكي الجرائد التي كانت تزين صفحاتها بنتاج افكاره وارائه الصائبة . مات الكاتب الناثر اللبق مراد ابو ماضي الذي بعد ان رأى جنود الادب تتناثر من حوله كأوراق الخريف واحدا بعد واحد ، وبعد ان عبثت يد الموت القاسية بحياة اخيه ايليا لم يعد يطيق الحياة فبات مثقلا بالاحزان واعترته علة قتالة اذابت جسمه كما يذوب الشمع من امام وجه النار فسار الى القبر بخطوات متثاقلة ركاني به يمشيها على قلوب محبيه وعارفيه . هذا هو مراد الذي جئنا نودعه الليلة وفي القلوب غصات وفي العيون دمعات .

دنت ساعة الوداع الابدي يا مراد . قرب الوقت الذي فيه نشاهد وجهك لاخر مرة في هذه الحياة . حان ميعاد السفر فستركب متن رحلة طويلة لن تعود منها الينا وانما نحن فيها نحوك سائرون .

ما وقفت الان ايها الجمع المحتشد الحزين لاستنزال الدموع من عيونكم ولا لاستدمي قلوبكم . وشهد الله ان الخطب اشجاها . ولكني وقفت بعواطفي الملتاعة لاودع صديقا حميما وجارا كريما . عزز للصداقة معنى واعلى للجوار مبنى . ويا ليتني اقدر ان اجد كلاما بليغا يفيه حقه من الرثاء والبكاء . بل ليتني استطيع ان افيه دينا سلفني اياه في ايام لوعتي واحزاني . ولكن من أين لي بلاغته وهو شيخ البلاغة . اقتبس نبوغه من فطرة طبيعية ولدت معه في المحيدثة بلبنان ـ ونمت في مصر واكتملت في امريكا . ولمع نجمه في سماء التحرير والانشاء . علّم نفسه بنفسه واستثمر مواهبه العقلية . وراسل الجرائد العربية في الوطن والمهجر . وساعد اخاه في تحرير « السمير » بطريقة فنية شهد له بها الكثيرون . مع كل ما كان عليه من الشهرة الواسعة لم تنفخه روح الكبرياء ولم يتباه ولم يدع ، بل كان يكتفي بما عنده من جوهر غير مكترث للمديح او للاطراء . ولكم سمعته مرارا يردد على مسمعي [illegible]ل اخيه ايليا الخالد :

انا من انا يا ترى في الوجود ؟ ... وما هو شاني وما موضعي ؟
انا قطرة لمعت في الضحى ... قليلا على ضفة المشرع
سيأتي عليها المساء فتغدو ... كأن لم ترقرق ولم تلمع
اذا لم اكن معكم في غد ... فاني سأمضي وانتم معي

هذه هي الروح المتواضعة التي خسرناها بمراد وبايليا . هذا هو الذي مضى فمضت معه قلوبنا وبكته عيوننا .

فيا شمس لبنان طلي في الصباح فوق صنين وانشري اشعتك على البيت الذي ولد فيه واجعلي منها منديلا كفكفي به دموعه المتحدرة على خده حزنا على ابنيه مراد وايليا .

وانتم ايها الاصدقاء اذرفوا الدمع سخينا على من كان يفرح معكم في افراحكم ويحزن معكم في احزانكم ويدبج المراثي لامواتكم .

وانت ايتها الارملة الحزينة سليمة يعز علي ان ادعوك بالارملة . ويحزنني ان اراك امسيت وحيدة تعاركي الدهر وحدك بعدما كنت شريكة لمراد في معترك الحياة في يسره وفي عسره ، في صحته وفي الامه . كنت الزوجة الامينة الساهرة على الواجبات الزوجية المقدسة . ضحيت شأن المرأة الصالحة . وهذا كاف لك ان تتعزي وتقولي لقد وفيتك حقك يا مراد الى اخر نسمة من حياتك .

وبينما انا احاول ان اعزيك واعزي رتشرد وبابي ، ولدي ايليا ، اللذين كان مراد لهما ارأف من والد ، ارى نفسي بحاجة الى من يعزيني ويخفف عني الام نفسي فاقبلوني شريكا لكم بهذه الخسارة الجسيمة وامزجوا دموعي بدموعكم .

وانت يا اخانا مراد ، ايها الراحل عنا رحيلا لا لقاء بعده . نودعك الان ونودعك قلوبنا . فارقد بمجدك وسلام على روحك اينما كانت واينما حلت . ورحمة الله عليك .

نيويورك (البيان) ميخائيل مرهج





يوليو ١٩٦٢

٥ – الاوروبيون يقصفون بالمدافع احياء وهران الشعبية اثناء احتفالات الاستقلال . وقوع ٥٠ قتيلا و ١٠٠ جريح .

– اتخذت اوروندي لنفسها اسم مملكة بوروندي يرأسها الملك موامبوتا .

– امريكا تقرض اسرائيل ٣٥ مليون دولار.

– اثر انتهاء زيارة المستشار النمساوي الفونس غورباخ لروسيا صدر بلاغ مشترك يدعو الى زيادة التجارة بين البلدين .

– ديغول واديناور يعلنان رسميا رغبتهما في اقامة وحدة سياسية اوروبية .

٦ – بن بللا يعلن شروطه لحل الازمة : الغاء قرار عزل الضباط وعقد مجلس الثورة . حكومة الجزائر تعلن ان جيش المغرب دخل ٢٥ كلم في اراضيها واحتل مركز الصفصاف.

– تجدد الاشتباكات بين قوات الكونغو وقوات كاتانغا

– انتهى في بروكسل مؤتمر دول السوق الاوروبية المشتركة مع الدول الافريقية الشريكة لها .

٧ – بن خدة يوفد وزيرين الى الرباط لمفاوضة بن بللا . نفى المغرب روايات الغزو المغربي لحدود الجزائر .

– القوات الدولية تطلب تفويضا جديدا من مجلس الامن لمعالجة الموقف في الكونغو .

– بولندا تقرض مصر ٢٠ مليون دولار .

٩ – افتتح عبد الناصر في القاهرة مؤتمر التنمية الاقتصادية .

– دمشق تعلن احباط محاولات تسلل من لبنان . اشتباك سوري اسرائيلي قرب بانياس .

– تواصل امريكا سلسلة تفجيراتها الذرية

١٠ – انضم ٣ قادة جزائريين في المحادثات الجارية مع بن بللا . شن الجيش الجزائري حملة عنيفة على الجزائريين لاقرار الامن في منطقة وهران .

– اللواء زهر الدين قائد الجيش السوري يحذر من التسلل عبر لبنان . حل مكتب اتحاد النقابات في دمشق واعتقال اعضائه والمحرضين على الاضراب .

– وافق الكونغرس البرازيلي على تعيين فرانسيسكو دا روكا رئيسا للوزراء .

– اكدت الصين الوطنية تصميمها على غزو الصين الشعبية متى سنحت الفرصة .

١١ – بريطانيا تطلب الانضمام لاسرة الفحم والفولاذ الاوروبية .

– دخل بن بللا الاراضي الجزائرية وتوجه الى مسقط رأسه ومنها الى تلمسان واستقبل استقبالا حماسيا .

– دمشق تعلن عن وثائق تكشف شبكة التسلل والتخريب .

– تعديلات في حكومة الكونغو المركزية اقصاء المتطرفين من اقصى اليمين واليسار .

– دخلت قوات صينية الاراضي الهندية وحاصرت مركزا عسكريا هنديا .

١٢ – دخل بن بللا وهران دخول الفاتحين.

– اقسم الجنرال اوغستين مونور غراندس اليمين كأول نائب لرئيس الجمهورية الاسبانية .

– وصل الملك حسين والاميرة منى الحسين الى لندن في زيارة لانجلترا .

– القوات الدولية تحاصر عاصمة كاتانغا. تشومبي يقول : تجنبنا الاشتباك بها .

– نهرو يطالب بانسحاب الصينيين المحاصرين للقوات الهندية لتفادي اصطدام مسلح .

١٣ – اكتشاف شبكة ارهابية خطيرة في باريس واعتقال اركانها .

– اجرى هارولد ماكميلان رئيس الحكومة البريطانية تعديلا شاملا في حكومته .

– فريق بن خده يرد على مظاهرات بن بللا بمظاهرات كبيرة . قيادة جيش التحرير تحل قوات الفدائيين .

– اتفق ديغول واديناور على عقد مؤتمر اقطاب للبحث في تحقيق اتحاد اوروبا السياسي .

– الهند والصين تتبادلان الاتهامات والتحذيرات حول الحدود المشتركة في لاداخ.

١٤ – القوات الجزائرية تحاصر قوة من حرس الحدود المغربية، وتضع شارات لتحديد الحدود .

– عرض عسكري عراقي في ذكرى ١٤ تموز. قاسم يعلن : قريبا شركة النفط الوطنية . اما الانتخابات العامة فمؤكدة .

– اقالة ٥ اميرالات في البرازيل ومنح الحكومة الجديدة الثقة .

– مؤتمر السلم ونزح السلاح المنعقد في موسكو يعلن ان من الافضل للشعوب ان تتوصل الى حل وسط لنزع السلاح .

– كنيدي يدعو الاتحاد السوفياتي الى الاشتراك بالبحث عن وسائل لانهاء سباق التسلح .

١٦ – اجرى ماكميلان تعديلا جديدا في الوزارة البريطانية .

– ابلغت روسيا مؤتمر نزع السلاح في جنيف استعدادها للتقدم في اتجاه المقترحات الامريكية الرامية الى تخفيض الاسلحة العادية وتقليل خطر نشوب الحرب وتبادل البعثات العسكرية

– قادة ولايات الجزائر يبحثون عن حل لعرضه على مجلس الثورة .

– مذكرة روسية الى الغرب تتعلق باستفزازات في القطاع الغربي من برلين . المذكرة ترفض اجتماع تهدئة وتكرر مطالب موسكو في برلين .

١٧ – فريق بن بللا يتوعد اذا لم ينجح اجتماع مجلس قادة الولايات الست في الجزائر لحل الازمة .. وساطات افريقية تتضافر لتسوية الخلاف الجزائري .

– اغلقت تركيا حدودها مع العراق وسورية لمطاردة المتمردين في مناطق الاناضول.

– قدمت وزارة البيرو استقالتها وتوقع تشكيل حكومة عسكرية .

– استقبل كنيدي السفير السوفياتي لبحث ازمة برلين وغيرها من القضايا العاجلة.

– وافقت الجمعية الوطنية الفرنسية على مشروع ديغول بايجاد قوة نووية فرنسية ضاربة مستقلة .

١٨ – استقال الدكتور علي اميني رئيس الحكومة الايرانية .

– عقد اجتماع بين وزيري خارجية سورية ولبنان في بلودان .

– اوفد مجلس قادة الولايات اثنين من اعضائه الى مدينة الجزائر للتباحث مع بن خدة . المعركة الباردة محتدمة بين القاهرة وتونس حول الجزائر .

– انقلاب عسكري في جمهورية بيرو . اعتقل الجيش رئيس الجمهورية واقام مجلس ثورة برئاسة الجنرال غودي القائد الاعلى للجيش .

– انهى مؤتمر التنمية الاقتصادية جلساته في القاهرة ودعا الى عقد مؤتمر اقتصادي عالمي برعاية الامم المتحدة .

– اتمت اسرائيل نقل وزارة الخارجية الى القدس لمحاولة نقل السفارات اليها .

١٩ – كلف شاه ايران اسد الله علم بتشكيل الوزارة الجديدة .

– علقت الولايـات المتحـدة علاقاتهـا الدبلوماسية مع بيرو . عـدة دول امريكية تقاطع الحكم الانقلابي في بيرو .

٢٠ – قبل كنيدي استقالة الجنرال لويس نورستاد قائد قوات حلف الاطلسي .

– اعلنت الهند ان قوات الصين الشيوعية حاصرت مركزا عسكريا هنديا اخر في وادي نهر تشب تشاب .

– وصل ميكويـان نائـب رئيس وزراء السوفيات الـى جاكرتـا لاجـراء مباحثات اقتصادية مع اندونيسيا .

– اتفاق تونس وفرنسا على استئنـاف علاقاتهما الدبلوماسية كاملة .

٢١ – بدأت المحكمة العسكرية في دمشق النظر في «قضية الفتنة» التي وقعت في حلب بعد حركة ٢٨ مارس والمتهم فيها ١٦ عسكريا .

– شكل اسد الله علم الحكومة الايرانيـة الجديدة .

– وافق المؤتمر الدولي بشأن لاوس الذي تشترك فيه ١٤ دولة رسميا في جنيف علـى معاهدة تضمن حياد لاوس واستقلالها .

– الحكم العسكري فـي بيرو يطلـب من امريكا الاعتراف به

– اطلقت مصر اربعة صواريخ مدى ابعدها ٦٠٠ كيلومتر .

– عين الجنرال ليمان لينتزر قائدا اعلى للقوات الامريكية في الحلف الاطلسي .

– اخفق مجلس الولايات في الوصـول الى تسوية في الجزائر . اعلنت جماعة بـن بللا تشكيل مكتب سياسي من ٧ اعضاء . واعلنت حكومة الجزائر ان المكتب غير شرعي .

– عرض عسكري بالقاهرة في ذكـرى الثورة

– اعلن برمدا نائب رئيس وزراء سورية ان الانتخابات النيابية ستجري في نوفمبر المقبل .

– بغداد تنفي شائعات انقلاب وتستنكر اذاعات القاهرة .

– وقع وزراء خارجية ١٤ دولة بمؤتمر لاوس في جنيف على المعاهدة التي اقرهـا المؤتمر .

– الاتحاد السوفياتي يقـرر استئنـاف التجارب النووية .

٢٤ – قبلت حكومة الجزائر بالمكتب السياسي السباعي اذا وافق عليه مجلس الثورة . اشتباكات دامية في الجزائر ووهران بين الجيش الجزائري ومنظمة الجيش السري .

– بدأ مؤتمر اجهزة فلسطين جلساته في شتورا بلبنان .

– محادثات بين الحكومة السعوديـة والارامكو على مناطق الامتياز واسعار النفط .

– تشومبي يهاجم حكومة الكونغو المركزية ويرفض مفاوضتها .

– مجلـس الشيـوخ الفـرنسـي يرفض اقتراحات ديغول بانشاء قوة نووية .

– غروميكو يتهم الغرب بعرقلة الوصول الى تسوية في محادثات نزع السلاح .

٢٥ – بورقيبة يعلن ان الاتفاق تم مع فرنسا لاتمام الجلاء عن بنزرت خلال عام ١٩٦٤ .

– استولى انصار بن بللا على قسنطينة وعنابه واصبح معظم غرب الجزائر وشرقها في ايديهم . اعلن بلقاسم المقاومة . فرنسا تنذر بالتدخل لحماية مواطنيها .

– انتهت محادثات راسك وغروميكو بشأن برلين في جنيف دون تبديل الموقف .

٢٦ – المكتب السياسي الجزائري اصدر امرا بوقف تحرك اية قوات من ولاية الـى ولاية . قوات حكومية مـن القبائـل تطوق قسنطينية

– وصل شاه ايران الى كابول في زيارة رسمية للبحث في تخفيف حدة التوتر علـى الحدود بين افغانستان وباكستان .

– صرح ماكميلان : حاجة بريطانيا لزعامة جديدة اوجبت اجراء التعديلات الوزارية الاخيرة .

– رسميون امريكيون يتباحثون مع يوثانت لتوحيد الكونغو دون اللجوء الى القوة .

٢٧ – مؤتمر بين فريقي بن خده وبن بللا لمحاولة الاتفاق على تسوية .

– على اثر خطاب عبد الناصر امس الذي اعلن فيه انه سيتحالف مع الشعب السوري للقضاء على الحكم القائم فيـه ، قررت الحكومة السورية تقديم شكوى الى الجامعة العربية وطلب عقد اجتماع عاجل لمجلس الجامعة ، متهمة القاهرة بالتدخل في شؤونها .

– تعاون عراقي صيني شيوعي في بعـض حقول النفط .

– يواصل الملك حسين والاميـرة منـى زيارتهما للمغرب .

– استقبل كنيدي الامير سوفانا فوما . امريكا تؤكد عزمها علـى تقديـم مساعدة اقتصادية للاوس .

– اقر مجلـس الامـن انضمام رواندا وبوروندي الى الامم المتحدة .

٢٨ – بينما تستمر الاتصالات بين زعماء الجزائر ، جماعة بالقاسم يعلنون تدهـور الموقف . بن خده يدعو الى عرض مسالـة تشكيل المكتب السياسي السباعي على المجلس الوطني للثورة .

– العراق يسحب سفيره من تونس بعـد تبادل التمثيل السياسي بين تونس والكويت .

– امريكا تقرض تونس ١٨٠ مليون دولار .

٣٠ – سيطرت قوات الولاية الرابعة علـى مدينة الجزائر وفتحت ابوابها لمجيء جميـع الزعماء الجزائريين اليها فمهدت الطريق امام دخول بن بللا . بن خده يدعو جميع الزعماء للمجيء الى الجزائر وفض النزاع .

– بدأ حسونة امـين الجامعـة العربية التوسط بـين القاهـرة ودمشق . اجرى محادثات مع المسؤولين في دمشق .

– تم انسحـاب القـوات الامريكيـة من تايلاند .

– ادولا رئيس وزراء الكونغو يقترح دستورا جديدا على اسس فدرالية .

٣١ – اعلنت سورية عن احباط محاولات جديدة لاثارة الاضطرابات واعتقال عناصر من مختلف الفئات . الدكتـور العظمـة رئيس الوزراء يصرح بان سورية تنوي اقامة تمثيل دبلوماسي مع لبنان للدفاع عن مصالحها .

– الاردن يدعو وزراء الخارجية العرب الى الاجتماع في القدس في سبتمبر المقبل للبحث في خطة موحدة لقضية فلسطين .

– اتفقت هولندا واندونيسيا على النقاط الاساسية لتسوية النزاع على ايريان الغربية .

اغسطس ١٩٦٢

١ – احتفلت سورية بيوم الجيش .

– وصل حسونة الـى القاهـرة للاتصال بالمسؤولين في قضية الشكوى السورية .

– وقع اتفاق تعاون وثيق بين اتحـاد عمال اسرائيل واتحاد عمال تنفانيقا .

– امين الامم المتحدة يدعو الدول لفرب الحصار على كاتانغا اذا رفض تشومبي المشروع الجديد لاتحاد معقول مع الكونغو .

– اللورد هيوم يدافع عن انضمام بريطانيا للسوق المشتركة ويعتبره مفيـدا لـدول الكومنولث .

٢ – تم الاتفاق بين الزعماء الجزائريين من بنوده : قبول المكتب السياسـي السباعـي الذي شكله بللا والذي اعطي سلطة تصريـف شؤون البلاد بدل حكومة بن خدة . وان تكون الانتخابات العامة في ٢٧ اغسطس الجاري . واجتماع مجلس الثورة بعد الانتخابات .

– جرت محاولة لاغتيال نكروما رئيـس جمهورية غانا فوقع قتيلان و ٥٥ جريحا .

٣ – دخل بن بللا مدينة الجزائر دخـول الفاتحين . بن خده يصدر بيانا يدعو الـى بناء الدولة وانهاء الفوضى وانشاء جيش منظم قوي .

مطبعة الغريب شارع هوفلين - بيروت - ت: ٢٤٦١٨٥